جـــامعة الـــمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللـــغة والأدب العـــربي

طور الماستر

أبعاد الإنتماء ودلالته في ديوان
-يوميات الشرود والتحدي –
لمحمد عطوي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص:أدب جزائري

إعـــداد الطالبة:

? شافية العلجي

إشراف الأستـــــاذ:

? سليمان بوراس

السنة الجامعية: 2013- 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في أسطر:

محمد عطوي بن محمود:

من مواليد1957/8/1 بالجمهورية التونسية عاد إلى الجزائر مع فجر الاستقلال واتخذت أسرته من قالمة مسكنا حيث كان الوالد معلما،فدرس المرحلتين:الابتدائية والمتوسطية ثم انتقل إلى سكيكدة حيث درس المرحلة الثانوية في:ثانوية العربي التبسي إلى 1975حيث انتقل إلى قسنطينة ليتخرج من معهد تكوين أساتذة التعليم المتوسط وباشر التعليم في رمضان جمال عامين ثم استدعي لأداء الخدمة العسكرية بين مليانة وبشار ثم عاد لرمضان جمال حيث واصل رسالته التعليم إلى 1985حيث انتدبته الوزارة إلى جامعة عنابة فتخرج منها في 1989 ليواصل التعليم الثانوي في مادتي اللغة العربية وآدابها والتربية الإسلامية،مع النشاط الثقافي والأدبي والنشر في الصحافة الجزائرية إلى 2002 حيث أصيب بشلل الأطراف السفلية حتى الآن ماي 2014.

توثيق الديوان العلمي:

- **عنوان الديوان** :يوميات الشرود والتحدي.
- **المؤلف**: محمد عطوي.
- **دار النشر**: إصدارات رابطة الإبداع الثقافية.
- **سنة الطبع**: 2004.
- **الحجم**: 24سم.

مقدمة:

مما لاشك فيه أن الانتماء من القيم النبيلة المتجذرة في حياة الإنسان، إذ هو تأصيل للفطرة التي أودعها الله فيه، كما أن الانتماء يشمل قيم من شأنها أن تدفع بالفرد إلى التفاعل وتحقيق التوازن في مجتمعه.

وقد اخترت هذا البحث الذي وسمته بالعنوان "أبعاد الانتماء ودلالته في ديوان يوميات الشرود والتحدي" لأبين فيه أبعاد الانتماء في شعر "محمد عطوي" بداية من البعد الديني والبعد الوطني والقومي إلى جانب حضور هذه الأبعاد في الشعر الجزائري.

جاء هذا الديوان يلم عن عمق الانتماء، فعبر الشاعر عن إحساسه بهذا الانتماء من خلال سكب هذا الإحساس في قالب شعري يروق لكل قارئ وهذا ما يكسب الموضوع أهمية بالغة تستدعي كل باحث بذل مجهود لإبراز الانتماء بأبعاده كظاهرة في الشعر والمتأصلة في الذات الإنسانية.

لهذه الأسباب حاولت من خلال هذا البحث تقديم القراءة لأبعاد الانتماء في ديوان يوميات الشرود والتحدي لمحمد عطوي".

فمن خلال الإطلاع على شعره وجدت مادة تستحق البحث وقد طرحت جملة من التساؤلات تشكل جوهر إشكالية هذا البحث.

- ما هي أبعاد الانتماء؟. وما مدى حضورها في الشعر الجزائري، ما الأبعاد التي تجلت في الديوان وما دلالتها؟.

والإجابة عن هذه الأسئلة التي شكلت هذا البحث والذي سار وفق خطة تمثلت في:

مقدمة: تناولت أهمية الموضوع وسبب اختياره.

الفصل الأول: بعنوان البعد الديني ودلالته في الديوان.

الفصل الثاني: بتناول البعد القومي ودلالته في الديوان.

الفصل الثالث: البعد الوطني ودلالته في الديوان.

ففي العنصر الأول تناولت المفهوم الأدبي الإسلامي (مفهومه في المجال اللغوي والاصطلاحي) إضافة إلى إشكالية المصطلح التي ظهرت عند طائفة من العلماء والأدباء والنقاد إلى جانب أبعاد الأدب الإسلامي وأهم قضاياه المعاصرة .

أما العنصر الثاني: فقد أدرجت فيه البعد الديني في الديوان والذي كان طاغيا عليه.

هذا فيما يخص الفصل الأول، أما الفصل الثاني فقد تناول البعد القومي ودلالته في الديوان، فتطرقت في المبحث الأول إلى الانتماء القومي مفهومه ونشأته وحضوره في الشعر الجزائري، أما البحث الثاني فتطرقت فيه إلى تجلي البعد القومي في الديوان والذي لم يخل من هذا البعد.

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه البعد الوطني ودلالته في الديوان وقد ضم العنصر الأول الانتماء الوطني مفهومه وأبعاده وحضوره في الشعر الجزائري.

أما العنصر الثاني فقد أدرجت فيه تجلي البعد الوطني ودلالته في الديوان وأ هم مظاهر هذا البعد فيه.

ثم جاءت الخاتمة التي كانت حوصلة لهم النتائج المتحصل عليها من البحث.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليل كونه المنهج الأنسب، ولعل أهم مصدر اعتمده في البحث "ديوان يوميات الشرود والتحدي لصاحبه محمد عطوي".

وبما أن هذا البحث أول دراسة لهذا الديوان- لم يسبق دراسة أعمال صاحب الديوان من قبل الباحثين- فإن صعوبات العمل كانت حاضرة سواء في اختيار هذا الموضوع وضبط عنوانه، أو في المعلومات المتحصل عليها، هذا ما جعل الأمر يتعسر عليا في تجميع المعلومات الكافية. ولكن بفضل الله وتوفيقه استطعت التغلب على كثير من الصعوبات التي كانت تعتري طريقي فلا يسعني في مقامي هذا أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد. أما الشكر الكبير والجميل ألأكبر فإنني أعترف به لأستاذي المشرف الدكتور "سليمان بوراس" الذي أفادني بالكثير من توجيهاته ونصائحه العلمية والمنهجية التي كان لها جميل أثر في إخراج هذا البحث على هذه الصورة التي لا أشك في أنها لا تزال بحاجة إلى جهد باحثين آخرين لتصبح أقرب للكمال.

وأرجو من الله العون والسداد.

المبحث الأول: الأدب الإسلامي مفهومه وأبعاده وقضايا.

1.مفهوم الأدب الإسلامي:

لغة:

الأدب: من أَدبَ كحَسُنَ أدباً فهو أديب.

جمعه أدباء وأدبه علَّمه فَتَأَدّب واستأدب.[1]

والأدب هو: "الكلام الإنشائي البليغ، الذي يحمل الكثير من الأخيلة والتصورات والإيحاءات".[2]

فالأدب هو المرآة التي تصور - بتعبير صادق- أحاسيس الإنسان وتعكس كل ما هو موجود في الحياة.

الإسلامي: من "سلم والسلم والمسالم، والسلم أيضا اّللام والإسلام، والإسلام يعني الطاعة والانقياد والتسليم لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض".[3]

فمفهوم الأدب إذا هو " الفن والجمال التعبيري، وإذا أضيف مصطلح "إسلامي" بات – أي الأدب الإسلامي – هو تلك الرؤية الفكرية المنبثقة من الإسلام أو هو أدب قادر على تشكيل المشاعر

[1] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج1، ط3، المطبعة الأميرية، مصر، ص 36.

[2] محمد لبيشير:الأدب الإسلامي والمنحنى النفسي، مجلة التراث، العدد 1، 2004، جامعة مستغانم، ص 20.

[3] بطرس البستاني: قطر، المحيط، بيروت، لبنان، 1869، ص 958.

الإنسانية تشكيلا إسلاميا، وهذا ما يجعله متميزا عن غيره. "...هذا الأدب المتميز عن غيره إنه تلقي للحياة والإحساس بها والتعبير عنها، من خلال منهج هذا الدين والتبعية الكاملة له".[1]

ومن ثمة كانت علاقة الدين بالأدب علاقة وثيقة جدا، ذلك لأن رسالة الأدب ترمي إلى تهذيب السلوك الإنساني، والدين والأدب فعاليتان إنسانيتان من حيث الممارسة والأداء لا يمكن التخلي أو الاستغناء عنهما.

"فالفن والأدب مسألة شعورية وجدانية تلتقي فيها أصالة الأديب بالدين، كما يرتبط في كل جوانبه بغاية اجتماعية نابعة من تحديد مفهوم العقيدة والسلوك الإنساني، الذي يمثل أرقى ما وصلت إليه للأديان".[2]

فالأدب إذا يقوم بإرسال أركان المعتقد الديني، ومنه ظهر مصطلح إذا يعد قديم قدم الدعوة الإسلامية، فارتبط بظهور الدين الذي جاء به الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فلما كان الإسلام يعني الانقياد والطاعة المطلقة **لله عز وجل**، التزم بعدها الأديب المبدع بهذا الدين وانقاد تحت ولاء تعاليمه ومبادئه.

وقد تعددت مفاهيم الأدب الإسلامي، بتعدد دارسيه والمهتمين بالتنظير له فلكل دارس مفهومه الخاص ومن بين هؤلاء الدارسين نجد مثلا **"السيد قطب"**، **"نجيب الكيلاني"**، **"عماد الدين خليل"...**

اصطلاحا:

[1] وليد قصاب: الأدب الإسلامي مفهومه وأبعادهن مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جامعة الماجد للثقافة والتراث، السنة7، العدد 27 2000/28، ص 29.

[2] محمد بلبشير: مرجع سابق، ص 20.

يعرف "**السيد قطب**" الأدب الإسلامي بقوله: "تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان بهذه القيم تختلف من نفس إلى نفس، ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، لكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض".[1]

أي أن الأدب الإسلامي تعبير عن قيم تحرك قريحة الفنان المبدع في إطار تصور معين للحياة كما يعرفه أيضا على أنه: "تعبير ناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية" فالأدب الإسلامي من منظور السيد قطب هو تعبير منبثق عن نفس متشبعة بالقيم الإسلامية.

ويقول "**عماد الدين خليل**" في تعريفه للأدب الإسلامي: "هو تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود".[2]

أما "**نجيب الكيلاني**" قد عرفه بقوله: "الأدب ضمير حي والوجدان السليم والتصور الصحيح والخيال البناء والعواطف المستقيمة، لا ينجرف إلى انحراف نفسي، أو اعتلال شعوري"[3] فالأدب الإسلامي في نظره هو أدب محرك للوجدان والمفكر ووفق أسس وقواعد سليمة.

كما نجد "**محمد الغزالي**" يعطي مفهوما واسع لكلمة الأدب الإسلامي فيقول: "هي ممتدة إلى ساحة الكون والنفس والحياة والتاريخ... تدعم المعروف وتنفر المنكر".[4]

---

[1] السيد قطب: في التاريخ فكرة ومناهج، دار الشروق، ط6، القاهرة، 1986، ص 11.

[2] شلتاغ عبود: الملامح العامة للنظرية، الأدب الإسلامي، ط1، دار المعرفة، دمشق، ص 23.

[3] عماد الدين خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987، ص 69.

[4] نقلا عن عبد الحليم عويس: الأدب الإسلامي، القضية... والحل، مجلة فيصل، العدد 63، يوليو 1982، ص 68.

ويمكن لنا - مما سبق- نلخص إلى أن جل التعاريف المذكورة للأدب الإسلامي أخذت تعريف **"محمد قطب"** الذي يعرفه بقوله: "هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان... فهو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود".[1]

فكل التعاريف المذكورة سالفا جاء إما اختصارا أو شرح لتعريف **"محمد قطب"** أو إضافة أو حذف أو تعديل.

ومن ثم يمكن القول: "أن الأدب الإسلامي هو الإبداع الأدبي المنبثق عن تصور الأديب المسلم للحياة والقيم، منطلقا بذلك من العقيدة الإسلامية".

ومما يلاحظ على التعريف السابق للأدب الإسلامي أنها تتفق على عنصرين مهمين يتمثلان في دعامتين لازمتين لأي عمل إسلامي وهما: التعبير الفني المؤثر والتصور الإسلامي للوجود.

فالتغيير الفني المؤثر هو امتلاك الأديب بزمام الأفكار ليؤثر على سامعيه وقارئيه أما التصور الإسلامي للوجود فهو أن يتخذ الأديب الإسلام وحده إطارا مرجعيا في رؤيته لهذه الحياة المتشعبة للجوانب.

وفي حديثنا عن المرجعية الإسلامية، والتي نلتمس صداها في الديوان الذي ، نجد أن الشاعر **"محمد عطوي"** جاءت جل قصائده منبثقة عن تصور إسلامي واضح" وبما أن الأدب الإسلامي كما

[1] محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، 1983، ص 06.

يراه "**نجيب الكيلاني**": "... يعبر بصدق وأمانة عن آمال الإنسان الخيرة، ويتناول نواحي الضعف والتردد والانحراف فيه بتسليط الأضواء عليها لفهمها والشفاء منها، لا مجرد تبريرها، أو التماس لأعذارها".[1]

فـ"**محمد عطوي**" من خلال قصائده نجده يجسد مواضع الضعف للأمة الإسلامية ساعيا في الوقت ذاته استنهاض الهمم للتخلص منها.

ومن مظاهر الضعف التي يراها – صاحب الديوان- التفرقة والتشتت اللذين اخترقا جدار الأمة الإسلامية وكذا غزو الأفكار الغريبة للثقافة الإسلامية العربية وغيرها، كل هده المظاهر نجدها جلية في قصائده خاصة قصيدة لو مرة واحدة وبيان إلى ولدي.

وسوف يتم التطرق إليها بالشرح المفصل لاحقا.

1.1.إشكالية المصطلح:

انتشر مصطلح "**الأدب الإسلامي**" في السنوات الأخيرة انتشارا واسعا، وتصدى له عدد كبير من الأدباء والنقاد والمفكرين لتحديد مفهوم هذا المصطلح وبيان أبعاده وكان من بين الإشكالات التي ظهرت حوله، هو اختلافهم في كون مصطلح "**الأدب الإسلامي**" صيغة مستحدثة، أم هي لفظة قديمة.

[1] نجيب الكيلاني: مرجع سابق، ص 34.

فهناك من يرى أنه بدعة مبتكرة وتقليد للمناهج الغربية فيقول **"محمد الحاج الناصر"** في مقال نشرته مجلة المسلمون: "إن صيغة الأدب الإسلامي من الصيغ المستحدثة فلم نعرفها في العصور الإسلامية المزدهرة ثقافة وعلما، إنما هي من إبداع هذا العصر"[1] وحجته في ذلك أن هذا المصطلح حديث النشأة، ولم يستعمل من قبل وإنما هو نتاج هذا العصر، وهناك من يرى فيه تقليدا للمذاهب الغربية، ويضيف **"محمد الحاج الناصر"** في المقال نفسه: "يعد الباحثون المروجون لفكرة الأدب الإسلامي، مقلدين من حيث يشعرون أو لا يشعرون. لبعض الدعوات التي كانت سائدة طيلة النصف الأول من هذا القرن، مثل دعوات الاشتراكيين الذين دعوا إلى الأدب الملتزم".[2]

فالكاتب ينفي وجود الأدب الإسلامي، وأعتبر الدعوة إليه تقليد للمذاهب الغربية كما يرفض الدكتور **"مرزوق بن حنيان بن تنباك"** هذا المصطلح **(الإسلام)** وأنه يمكن أن يضاف إلى أي تخصيص آخر فيقول: "يمكن أن يضاف إلى الاقتصاد والجغرافية، فيصبح الاقتصاد الإسلامي والجغرافية الإسلامية...رافضا إضافة الإسلام إلى الأدب، لأن الأدب برأيه متصل بالدين منذ نزول القرآن، وربط الأدب بالإسلام خروج عن كل ما أقرته الأمة الإسلامية وما قبلته من فنون وآداب الشعوب الأخرى، ويؤكد أن الأدب تجربة إنسانية عامة لم ينفرد بها شعب دون آخر، وبهذا فهو يؤمن بشمولية الأدب حتى يبقى بابه مفتوح للإبداع، ولهذا دعاها ببدعة الأدب الإسلامي".[3]

---

[1] نقلا: عن حسين محمد علي: كتب وقضايا في الأدب الإسلامي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، ص 123.

[2] المرجع نفسه، ص 121.

[3] مرزوق بن حيتان بن تبناك: إشكالية الأدب الإسلامي، مجلة الدارة، عدد 3، سنة 18، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، ص 112.

وهذا الموقف من الأدب الإسلامي غير مبرر، فالأدب الإسلامي موجود كظاهرة مند عهد **النبي – صلى الله عليه وسلم-** وبنزول القرآن الكريم، فكل أدب قاله **الرسول** أو دعا إليه من خطب، وأحاديث هو بالضرورة أدب إسلامي.

والأدب الإسلامي ليس تقليدا للمذاهب الغربية، بل هي دعوة تريد أن يكون لدين الله – الإسلام- أدبه الذي نطلق منه، فيحمل مبادئه وخصائصه ورؤيته وتصوراته للحياة والكون والإنساني، ولو صدق ما يدعيه الدكتور "ب**ن تبناك**" من أن "مصطلح الأدب الإسلامي بدعة، لحكمنا بأن أولئك الذين وضعوا مئات الآلاف من المصطلحات في الفقه والشريعة والحديث والتفسير والأدب، مبتدعون وضالون، لأن الأمة لم تعرف هذه المصطلحات، والعجيب أنه لا يفرق بين البدعة في الدين والبدعة في الأدب".[1]

كما يرى الدكتور"**بن تبناك**" بأن الأدب الإسلامي يلغي جزء من مورثنا الأدبي ولاسيما الشعر، وقوله هذا غير مبرر، "لأن الأدب الإسلامي لم يلغ الآداب الأخرى إلا ما كان يتعارض مع التصور الإسلامي، كما ويعود الفضل للأدب الإسلامي في حفظ الأدب العربي من الاندثار".[2]

إضافة إلى إشكالية المصطلح، اختلف النقاد في المؤسس الأول لمصطلح الأدب وفي هذا السياق تؤكد "**مجلة الأدب الإسلامي**" على أن بداية ظهور المصطلح كان على يد "**أبي الحسين الندوي**"

[1] علي يوسف اليعقوبي: مصطلح الأدبي الإسلامي في النقد الحديث، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد 19، عدد 12، 2011، ص 24.

[2] علي يوسف اليعقوبي: مرجع سابق، ص 24.

الذي ينسب إليه تبني فكرة الأدب الإسلامي عندما ألقى كلمته في الاحتفال الذي أقامه بمجمع اللغة العربية بدمشق منذ أكثر من نصف قرن تقريبا عام 1956، حيث قدم بحثا دعا فيه إلى إقامة أدب إسلامي والعناية به، ثم تلاه **"سيد قطب"** فكتب مقالا في هذا الموضوع ونشره في كتابه (التاريخ... فكرة ومنهاج) وقد نبه فيه لوجود أدب إسلامي، ودعا إليه أول من استجاب له أخوه **"محمد قطب"** الذي ألف كتاب **(منهج الفن الإسلامي)** ،ثم تلاه **"نجيب الكيلاني"** بكتاب **(الإسلامية والمذاهب الأدبية 1963م)** ، ثم تلاه الدكتور **"عماد الدين خليل"** بنشره لكتابيه **(في النقد الإسلامي المعاصر 1972)** و**(محاولات في النقد الإسلامي 1981)**.[1]

وهناك من لا يقرون **"للندوي"** بالأولية، بل يرى أن ظهور المصطلح الإسلامي أسبق من هذا بقليل، "أي من منتصف القرن العشرين، على يد "سيد قطب" – رحمه الله- في مقال كتبه عام 1951 أو 1952، بحيث كتب مقالا ونشره في جريدة – الإخوان المسلمين- التي كانت تصدر بالقاهرة بعد زمن وجيز من قيام الثورة المصرية 1952 ثم ضمته في القيم (التاريخ...فكرة ومنهاج) الذي نظر فيه للأدب الإسلامي، وأرسى قواعده بين دلالة هذا الأدب وماهيته وقيمته وأبعاده، وعمل على تحديد الفكر الإسلامي وتصحيح ما وقع فيه من خطأ".[2]

[1] عبود شلتاغ: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي، ط1، دار المعرفة، دمشق، ص 23.

[2] ماجد بن محمد الماجد: الأدب الإسلامي، النشأة والخصائص، بحث ترقية، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط، ص06.

وهناك من يذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن الأدب الإسلامي يتجسد في مرحلة صدر الإسلام، ومن بعده الخلفاء الراشدين، ومن مؤرخي الأدب من يرى أنه يمتد من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر.

إذاً فالمصطلح حديث في حياتنا الأدبية، وليس هناك أي إدانة لتراثنا إن لم يوجد هذا المصطلح فيه، فلكل عصر مصطلحاته ومنهاجه، وهذا راجع إلى طبيعة الدورات التاريخية، وحركة المسيرة الإنسانية.

وهذا ما نرجحه خاصة إذا قمنا بتفكيك المصطلح، فهو يتكون من لفظين الأولى هي (الأدب) وتحمل دلالة فنية وجمالية، واللفظة الثانية (الإسلام) وتحمل دلالة عقائدية فكرية، ظهرت بمجيء الإسلام، فمصطلح الأدب الإسلامي قديم قدم الدعوة الإسلامية السمحة، وانتشاره ارتبط بالصحوة الإسلامية المباركة والتي شملت أرجاء الأمة، بل وامتد وميضها وتأثيرها إلى أوربا وأمريكا، "فكان من الطبيعي أن ينتشر الأدب الإسلامي وينشط المبدعون في ظلاله والداعون إليه، وكان من الطبيعي أيضا أن ينشط أعداء الإسلام وعملاؤهم والمظللون بأراجيفهم في محاربة كل ثمار هذه الصحوة المباركة لأنها ستزلزل كل أركان الضلال الفكري والفني...".[1]

إذاً الصحوة الإسلامية هي التي مهدت الأرضية لانتشار الأدب الإسلامي والذي يحمل فكرا عقائديا متوازنا منبثق عن الدين الوسطي الشامل وهو الإسلام وهذا ما جعل أصوات المجادلين حول مشروعيته الأدبية كمصطلح، فأشهرت أقلام التغربيين في وجهه، الادعاء بأنه – أي المصطلح- إذا

[1] أحمد محمود مبارك: رؤية إسلامية في الأدب والثقافة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 51.

ارتبط بالدين فإنه أدب رجعي يمتاز بالسطحية الخلو من الغموض، "... وكان من بين سموم وأراجيف الأقلام الخانقة على كل ما هو إسلامي، الزعم بأنه ليس هناك أدب إسلامي، ولا فن إسلامي، وأن الأدب أدب والشعر شعر والفن فن لا تقيد نظريات خلفية ولا معتقدات دينية، وأن الخضوع الأدب والفن للعقائد الدينية النظريات الأخلاقية من شأنه أن يجردها من روح الأدب والفن وجوهرهما وتأثيرهما الإنساني".[1]

فهؤلاء يدعون إلى عدم التقييد بالمبادئ والأخلاق في الأدب، فهي تحد من إبداع الكاتب، وتقيد حريته، كما يرون أن الأدب الإسلامي عاجز عن مناقشة قضايا الأدب المعاصر، وهذا كله قول مردود وغير مبرر.

لأن الفلسفات الكبيرة كلها – أفرزت أدبا- وانطلقت من قيم معينة فسميت آدابها بأسمائها، وقائمة الآداب المعاصرة تعج بأسماء لها دلالاتها وعلاقاتها بتطورات فلسفية متباينة فنقول: "الأدب الوجودي... الأدب الاشتراكي...أوالواقعي الاشتراكي... والماركسي... أدب اللامعقول... الأدب المسيحي... الأدب الصهيوني...".[2]

فلماذا إذاً يعاب على المسلمين بالذات دعواهم إلى الأدب الإسلامي؟ أدبا يعبر عن قيم وعقائد ومبادئ تستمد قواها من الشريعة الإسلامية، ولما يعاب أدبائهم في نهلهم من هذا المعين الصافي.

[1] المرجع نفسه، ص 49.

[2] عمر عبيد حسنة: مدخل إلى الأدب الإسلامي، مكتبة المشكاة الإلكترونية ، ص23.

http:/www.ikriwanwiki.com

وما يمكن قوله هو أن الأدب الإسلامي أدبا يدافع عن هوية الأمة، ويدرأ عنها كل فكر تضليلي وتغريبي، وثقافة منحرفة خبيثة، فهو لا يختلف عن غيره من المصطلحات التي وضعها المسلمين والمرتبطة بتلك القيم كمصطلحات: الفقه الإسلامي، والاقتصاد الإسلامي، والحكم الإسلامي والتاريخ والفتوحات الإسلامية وغيرها.

فهو أدب يحمل بين طياته روح الأدب وخصائصه الايحائية والوجدانية المؤثرة، فتراث الأمة الأدبي يزخر بثروة هائلة يمتد شعاعها الأدبي آفاق الحاضر والمستقبل وبطاقات محددة ومتأصلة ومتألقة.

2. أبعاد الأدب الإسلامي:

إن خصوصية الأدب الإسلامي تكمن في كونها يستمد أدبها من ذاتية الأمة الإسلامية العربية، مما يجعلها تتشبث إلى القرآن الكريم الذي يشكل لها منهجا خاصا بها، فالطابع الخاص هو أبرز طوابع الإسلام، فعلى الرغم من وجود أمور عالمية مشتركة كالعلم والمعرفة، إلا أنه توجد هناك أمور ذاتية منها القيم والأدب والأذواق، فقد ارتبط الإنتاج الفني الإبداعي للأديب المسلم بالعقيدة الإسلامية عكس من خلاله هموم ومشاغل مجتمعه وفق رؤية إسلامية، موظفا إياها جملة من الأبعاد والمضامين التي تحملها هذه الخصوصية والذاتية.

لذا سنقف عند توظيف الأدب الإسلامي لهذه الأبعاد التي تكمن في البعد الأخلاقي والبعد القيمي فالديني.

1.2. البعد الأخلاقي:

إن مادة الأخلاق ركن ثابت لا يتجزأ عن الأدب الإسلامي الذي جاء داعيا إلى القيم الأخلاقية وتثبيتها كونها مستمدة من القرآن الكريم، باعتباره الدستور الرباني الذي قوم سلوك الإنسان، بوضعه جملة من المعايير والأسس.

وليس هناك أعظم من أخلاق النبي الكريم – **محمد صلى الله عليه وسلم-** لنهل منها والأخذ من فيضها الغزير، كما وقد أسالت حبر كثير من الأدباء المسلمين فكتب مصطفى صادق الرافعي عن أوصاف النبي الخلقية، وكذا **"عباس محمود عقاد"**[1] وغيرهم.

كما لم يغفل الأدب الإسلامي عن تصوير الأخلاق السامية في المعاملات والعقود القائمة على نظم التشريع الإسلامي في البيع والشراء وتحريم الربا والغش، وتحريم الاكتناز والإسراف، يقول **"الرافعي"**: "ولو سُئلت أن أجمل فلسفة الدين الإسلامي كلها في لفظين لقلت: إنها ثبات الأخلاق، ولو سُئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانية كله في حرفين لما زاد عن قول: إنه ثبات الأخلاق، ولو اجتمع كل علماء أوروبا ليدرسوا المدنية ويحصروا ما يعوزها في كلمتين لقالوا ثبات الأخلاق"[2]

فالأدب الإسلامي إذاً يرتكز أساسا على الأخلاق، إذ هي أساس المدنية المعاصرة وزوال الأخلاق يفقد معالم الإنسانية في الوجود، ويضرم نار الفوضى والاضطراب في المجتمع، كما يؤكد

[1] ينظر: عباس محمود العقاد: إسلاميات، ط1، دار المعارف، مصر، 1985، ص 21.

[2] مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم، ج2، راجعه درويش الجويدي، د. ط، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 2002، ص 14.

الأدب الإسلامي على تجسيد صورا من التكافل الاجتماعي والسعي إلى نشرها بين أفراد المجتمع الواحد.

فنجد "**الرافعي**" يدعو إلى ذلك قائلا: "لو صار العالم الإسلامي كله يوما واحدا وبذل نفقات هذا اليوم الواحد لفلسطين لأغناها..."[1]

فالقيم الأخلاقية في الأدب الإسلامي لا تكمن في الوعظ والإرشاد، بل تتعداه ذلك بالغوص في أغوار النفس الإنسانية حاملة إليها إحساسا أخلاقيا راقٍ، ينثره الأديب المسلم في الوعي الداخلي للقارئ، تاركا بذلك أثر تربويا عميقا وسليم.

والدعوة إلى التحلي بالقيم الأخلاقية نجدها حاضرة في ديوان يوميات الشرود والتحدي لشاعر "**محمد عطوي**"، فنجده يخاطب الشباب ويحثهم على التعالي والسمو عن براثين التفسخ والانحطاط الأخلاقي الذي دب بخطاه شيئا فشيئا إلى المجتمع، مذكرا إياهم بأمجاد أمتهم وتاريخها العريق، والمحكم بالدستور الرباني العظيم وهو القرآن الكريم، وهذا من خلال قصيدته "بيان إلى ولدي ، وللتأثير البليغ، صور الشاعر أنموذجا سلوك تلميذ طائش غير واع لمسؤوليته تجاه وطنه وأمته، يقول:

رأيتك يا ولدي تسكن شارع قريتنا

تبني حضارة أمتنا بالهدم مع الأشرار !

رأيتك يا ولدي تكتب بالفحم على الأسوار

لا تكتب بالطبشور...

[1] المرجع نفسه، ص228.

لا تسهم في استخراج الأفكار !!

يقف الأستاذ أمامك كالشحاذ

من يشرح هذا البيت؟

من يأتي بعنوان؟

إلى أن يقول: رأيتك لا تفتح في الدار إلا التلفاز

لا تفتح إلا أبوابا للريح

لا تسمع قرآنا عربيا

وحديثا بنويا

تقتات أفلاما غربية

لا تنس بأنك ابن العرب الأحرار*

ما نلتمسه من أسلوب الشاعر **"محمد عطوي"** هو تصويره للواقع بأسلوب أدبي بسيط في قالب إبداعي استطاع من خلاله الدعوة إلى التحلي بالأخلاق التربوية السليمة.

2.2. البعد القيمي:

من سمات الأدب الإسلامي، أنه يراعي القيم الإنسانية الربانية، كونها صمام أمان لضمان الحياة البشرية وتوزعها، ولاشك أن هذه القيم تستمد تصوراتها من تعاليم الدين الإسلامي ومن المجتمع الإسلامي الذي يؤدي رسالته في عمران الحياة بالخير، والدعوة إلى السمو والارتقاء بفضائل الأخلاق،

* من ديوان "يوميات الشرود والتحدي"، ص 69.

"إن ما تمتاز به فيم الأدب الإسلامي الإنسانية، هو أنها قيم ربانية كونية توازن بين حياة الإنسان ونظام الكون، لذا كانت زاد الإنسان المسلم الذي يؤدي مهمته ودور استخلافه في الأرض، على هدى من ناموس الله في الوجود وهذا ما يفرد الأدب الإسلامي بمنزلته ومستواه...".[1]

فالأدب الإسلامي يسعى إلى إرساء مبدأ التوازن الكوني، وإلغاء نظريات الآداب الغربية التي تدعي بأن: "الإنسان الأبيض هو نتاج الخليفة الذي لا يُغلب في أي صراع..."[2]

فهذه النظرية جاءت تكرس العبودية والاستغلال، الذي حرمه الإسلام على البشرية، وأعطر لها الحق في الحرية المطلقة، فالإسلام ارتقى من شأن الإنسان المسلم عقليا واجتماعيا وروحيا.

وهو ارتقاء من شأنه أن يسمو بإنسانيته، ويترفع عن كل ما يشوبها ويهذب فيها طبيعته الحيوانية، و من ثمة كان تصوير الأدب الإسلامي للحياة تصويرا راقيا مهذبا من خلال إبداعات الأديب المسلم.

وفي هذا الصدد يشير **"مصطفى صادق الرافعي"** في مقال له **"حقيقة المسلم"** يقول: "لم يكن الإسلام في حقيقته إلا إبداعا، للصيغة العملية التي تنظم الإنسانية فيها، ولهذا كانت آدابه كلها حرسا على القلب المؤمن، كأنها ملائكة من المعاني وكان الإسلام بها عاملا إصلاحيا، وقع له التطوير في عالم الغريزة..."[3] فحرص الإسلام كان واضحا على هداية قلب الإنسان لأن بصلاحه يصلح الجسد كله.

---

[1] محمد عادل الهاشمي: الإنسان في الأدب الإسلامي، د. ط، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية، ص 18.

[2] أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1995، ص 128.

[3] مصطفى الصادق الرافعي: مرجع سابق، ص 14.

والأدب الإسلامي باعتباره أدبا ربانيا يتصف بالشمولية، فهو يستمد مبادئه وقيمه الإنسانية السامية من هذا الدين، الذي يدعو إلى المحبة والعطف والإيثار والحلم، ومساعدة المحتاج، والخضوع لمبادئ الإسلام في التعامل مع الأسرى في الحرب، وقد أشار الشاعر **"محمد العيد آل خليفة"** إلى المعاناة والقهر اللذين توسدهما البائسين في الأرض، الذين حرموا المأوى والكساء والطعام والشراب فباتوا من دون كرامة إنسانية.

بدا لعيني تاعس ناعس على الثرى في الصبح بالي الثياب

فهاج من حزني ومن لوعتي كما يهيج النار عود الثقاب.

وربما تطلع الشاعر من هذه الصورة المحسنة إلى رؤى أبعد:

هل أنت إلا بشر مثلنا أم أنت جن زال عنك الحجاب[1]

فمن خلال هذه الأبيات تظهر فلسفة الشاعر الإنسانية والتي هي نابعة من قيم الإسلام مبادئه السمحة.

3.2.البعد الديني (التأثير البلاغي):

لقد استقى الأدب الإسلامي معينه من فيض جماليات القرآن الكريم، فظهرت العناصر الإبداعية جلية الوضوح في أسلوب الأديب المسلم والمستمدة من الإعجاز القرآني، والبيان النبوي الشريف، ففي الشعر نجد شعر **"الكنيث"** و**"أبو العتاهية"** وغيرهما من شعراء الوجدان الديني. أما في العصر الحديث، فتظهر سمات التأثر بأسلوب الإعجاز القرآني، والبلاغة النبوية واضحة، فنجد كتابات **"أحمد**

[1] نقلا: عن عمر بن قينة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1995، ص 55.

باكثير" و"**مصطفى صادق الرافعي**"؛ أما في الأدب الجزائري ففي الشعر نجده "**محمد العيد آل خليفة**" و"**ابن باديس**"، أما النثر الأدبي لدى الكتاب الجزائري فقد عرف أشكالا وأوجه تستمد من الأثر من الأثر القرآني ظلالها.

"...أهمها شكلان: يتمثل أولهما في ظاهرة الاقتباس الخاصة بآيات مختلفة من القرآن الكريم، ويتمثل الثاني في أثر القرآن في سياق تعبير ذي ظلال قرآنيه، قد ترد فيه جملة أو كلمة كما قد يوحي به مضمون التعبير أو شكله أو هما معا: صياغة، وحكمة، ومثلا أو عبرة أو غير ذلك..."[1]

* وتختلف ظاهرة الأثر القرآني هذه في النثر الجزائري بكل ألوانه وأشكاله من كاتب إلى آخر؛ وهذا راجع إلى منسوب الثقافة الدينية وعمقها بينهم.

نجد "**محمد البشير الإبراهيمي**" تميزت كتاباته بالاقتباس القرآني وبمعان قرآنية وألفظ قرآنية أيضا، ففي دعوته إلى دحض الاستعمار الغربي وأتباعه يستمد الآية القرآنية في قوله: "وأعدوا ليهم ما استطعتم من قوة"[2]، حين يعبر عن ضرورة الخروج والتصدي للعدو الغاشم؛ كما يدعوا إلى الخروج من التسميات الباردة في الدعوات المجردة إلى الاستعداد للعمل المخلص إلى جانب ذلك، فيقول: "أيها المسلمون عيدكم مبارك إذا أردتم، سعيد إذا استعددتم، لا تظنوا أن الدعاء وحده يرد الاعتداء؛ إن

[1] المرجع نفسه، ص 66.

[2] عمر بن قنية: مرجع سابق، ص 81.

مادة دعا يدعو، لا تنسخها مادة عدا يعدو، وإنما ينسخها أعد يَعُد، واستعد يستعد، فأعدوا واستعدوا وتزدهم أعيادكم وتظهر أمجادكم".[1]

ومن ملامح التأثر بالبيان القرآني، هو استلهام الشاعر من إشراقات آية قرآنية نجد **"محمد البشير الإبراهيمي"**، يَعَنّون مقال له بجريدة **"عيون البصائر"** بـــــ: **"شهد شاهد"**، كما نجد **"أحمد توفيق المديني"** يعنون أيضا موضوع له بجريدة البصائر بـــــ: **"{ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى }"**.[2]

كما لا يختلف الكاتب الجزائري المصلح **"عبد الحميد ابن باديس"**، الذي جاء نصه في محاضرة له في ذكرى المولد النبوي الشريف، مستمدا أسلوبه من ظلال قرآنية في كلمات معينة متوجة بآية كريمة، قال في آخر موضوعه: **"...** إن قلوبنا وضعنا فيها اسم **الله عز وجل** واسم **"محمد"** لهي، بمأمن عمل الظالمين، وكيد الخائنين فجددوا أنورها وقوتها بمثل هذه الذكرى**...** واقصروا أعمالكم وجملوها بالإحسان والتقوى، إن **الله عز وجل** مع الذين اتقوا والذين هم محسنون".[3]

أما الشاعر **"محمد عطوي"** في ديوانه الذي نجده يزينه في كل مرة بوشاح الاقتباس القرآني في قصائده.

فنجده أحيانا يذكر الآية القرآنية كما هي في النص القرآني، يقول في قصيدة **"لو مرة واحدة"** متهكما بالحكام العرب:

---

[1] المرجع نفسه، ص 81.

[2] المرجع نفسه، ص 67.

[3] عمر بن قنية: مرجع سابق، ص 67.

أيديهموا مسعورة، كالنار تأكل الحطب !!

"تبت يدا أبي لهب"

تأثرا بقوله عز وجل: " **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** "؛[1] كما أننا نجد في الديوان تأثر الشاعر بالقصص القرآني لاستخلاص العبرة منها مثل قصة سيدنا "**عيسى**" وأمه "**مريم**" و"**يوسف**" و"**نوح**" عليهم السلام جميعا.

وسنتطرق إلى هذا التأثر القرآني لاحقا.

3.قضايا الأدب الإسلامي في الأدب المعاصر:

استطاع الأدب الإسلامي أن يفسح المجال للأديب المسلم ليعبر عن الإنسان والكون والوجود، أي أنه أدب شامل لجميع مناحي الحياة، ساعيا إلى تحقيق التوازن فيها فلطالما دافع الأديب المسلم عن قضايا مجتمعه وقضايا أمته التي هو جزء لا يتجزأ منها كيانها.

لذا فقد حمل الشعراء والأدباء العرب عامة؛ والشعراء الجزائريين خاصة لواء الدفاع عن هموم الأمة العربية ومشاغلها، فكان من الشعراء الجزائريين الذين لمعت أسمائهم في هذا المجال: الشاعر **محمد العيد آل خليفة، عبد الحميد ابن باديس...** وغيرهم.

[1] سورة المسد، الآية 01.

أما الأدباء العرب فنجد "**نجيب الكيلاني**"، والشاعر "**بهاء الدين الأميري**" و"**عادل النحوي**"... والقائمة طويلة بذكر أسمائهم...

1.3. القضية الفلسطينية:

- وهي من القضايا التي حركت وجدان الشاعر والأديب المسلم، وألهمت وألهبت مداد قريحته، وذلك لما تمثله هذه القضية من إرث حضاري وعقائدي، ولما تحمله من صراع تاريخي مستمر، فقضية فلسطين طالما عاشت حية في ضمائر الشعب برمته، لذا كان لازما على الأديب وهو المعبر عن قضايا مجتمعه، أن يجود بعطر قلمه على نتاجه الأدبي فيدافع عن القضية الأم (قضية فلسطين)؛ فنجد الشعراء الجزائريين قد سجلوا وعبروا عن إحساسهم العميق تجاه هذه القضية، فعكسوا ذلك الإحساس شعرا في قصائدهم "وليس من شك في أن الكتاب والشعراء، إنما نقلوا إحساس هذا الشعب ومشاعره نحو فلسطين وحاولوا أن يعكسوا هذا الإحساس وهذا الشعور في كتاباتهم نثرا وشعرا".[1]

فإحساس الشعب الجزائري تجاه هذه القضية لم يكن ببعيد عن إحساس الكتاب الجزائريين؛ خاصة وأن الأمر يتعلق بجزء هام من أجزاء الوطن العربي الكبير "ومن هنا كان إحساس الشعب الجزائري بـــ"**قضية فلسطين**" إحساسا حادا وعميقا وكان شعور كتاب الجزائر وأدبائها أكثر حدة وشعورا لهذه القضية باعتبارهم لسان الشعب والمعبر عن مشاعر وأفكاره".[2]

[1] عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، الجزائر، ص 47.

[2] المرجع نفسه، ص 48.

إذا فالجزائر بكتابها وأدبائها وبشعبها، تفاعلت مع قضية فلسطين خاصة وأن كلا الشعبين – الجزائري والفلسطيني- عرفا بشاعة الاستعمار وضاقا صنوف سياسته الوحشية، لتكون ردة فعل واحدة، الدفاع عن الوطن بكل قوة؛ فكلا الشعبين يستمد طاقاتهما من العقيدة الواحدة؛ فهما من جنس واحد وأمة واحدة

ولعل ديوان **"يوميات الشرود و التحدي"** "لم يخلو هو الأخر من هده القضية فعبر الشاعر فيها عن إحساسه العميق تجاه هذه القضية، فنجده يوظف الرمزية في قصيدته **"غبار ومطر"** فالغبار يقصد به (اليهود)، أما المطر كناية عن **"فلسطين"** فجسد الشاعر من خلال قصيدته هذه، الشارع الفلسطيني، وهو يختنق من شدة سواد ذاك الغبار المنتشر، والذي لف كل ركن من أركانه موظفا الرمزية يقول:

في المدينة الغبار المنتشر

تدفعه الرياح من شارع لشارع

فيعلو تارة وطورا ينحدر

يكتسح الشوارع

فيعلق بالأوجه*

* ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص21.

ولكن سرعان ما يحط المطر رحاله فوق سواد ذلك الغبار فتمطر السماء حجارة (وهنا كناية عن الانتفاضة الفلسطينية)، فيعم السلام في شوارع فلسطين وهنا دعوة إلى المقاومة والصمود في وجه العدو الصهيوني.

وعندما تهدأ الرياح

ويخرج الفلاح

لحقله القريب

في الوطن الحبيب فتنبت السنابل

كما نجد الشاعر **"عدنان النحوي"** يتفاعل هو أيضا مع القضية الفلسطينية فكتب قصيدته **"أكواخ وأشلاء"** جسد فيها مأساة اللاجئين الفلسطينيين وما تجرعوه من بطش العدوان الفلسطيني يقول:

وهناك خلف الديار أنات الجراح

لكي تبكي والدموع عواطف الوطن المباح

وأمومة جنت على كبد ممزق وساح

والكون مضطرب على الأشلاء من حمى الرياح.[1]

2.3. قضية البوسنة والهرسك:

[1] نقلا: عن أحمد محمد مبارك: رؤية إسلامية في الدب والثقافة، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 112.

وإلى جانب قضية فلسطين كانت قضية البوسنة والهرسك تشغل هي الأخرى فكر الأديب الإسلامي، فكتب عن مأساة البوسنة وعن عدوان الصرب بحقهم، فنجد **"أحمد محمد النقيب"** عبر عن هذه المأساة من خلال قصيدته **"السيناريو يرايفو"**.

ونجد أيضا الأديب الإسلامي **"نجيب الكيلاني"** من خلال رائعته المميزة وهي رواية **"ليالي تركسان"** يعالج قضية الشعب **"التركساني"** وما تعرض له من بطش من قبل الغزو الصيني والسوفيتي.

يقول: "ودخلنا المدينة... وخرج الرجال بالهتافات المدوية، والأطفال بالأناشيد الحماسية، كلما حققنا شيئا من النصر يظهر في وجه بلادنا الحقيقي، تغمره الفرحة وتضيء المآذن، وينطلق منها التكبير والتسبيح".[1]

أما الشاعر **"محمد عطوي"** فلم نجد له في ديوانه هذا إشارة إلى هذه القضية.

3.3. قضية الانتماء للأمة العربية:

هذه القضية كانت ولا تزال بالنسبة للأديب المسلم قضية محورية تصارع كل موجات التضليل والتغريب التي تعتري حصن الأمة العربية والإسلامية، وتسعى إلى قطع كل أواصر التواصل مع مقوماتها الحضارية. (ولقيمة هذا الانتماء خصصنا له فضلا كاملا يندرج تحت عنوان البعد القومي ودلالته والشرح يكون فيه مفصلا).

[1] نجيب الكيلاني: ليالي تركسان، ط2، بيروت، 1974، ص 131.

فنجد الشاعر **"محمد عطوي"** في ديوانه **"يوميات الشرود"** و**"التحدي"** قد تفاعل مع قضايا أمته، وتألم لحالها منكرا عليها الذل والهوان الذي شق ثوبها جراء تخاذل زعمائها وتبعيتهم للمستعمر فنجده يقول في قصيدته – مقتطفات من أيام العرب-

نحن ممزقون

بين ما كان، وما ينبغي أن يكون

بين الحقيقة المثلى

والواقع المسكين !

ساقط واقعنا

سابح في دماه

كما نجده في قصيدته **"كتابه في جو السماء"** يصور التخاذل والتهاون من قبل الحكام العرب فيقول:

أعطيني قنبلة

اقنبل قنبلة تزعزع العروش

تهز جيش الحلفاء

حيثما تجمعوا حول القروش

في جزيرة العرب !!

حول الغناء والطرب

لما تخاذل ملوكها

وجبن حكامها

من خلال هذه القضايا التي أوردنا نستطيع القول أن الأدب الإسلامي سعى إلى الإحاطة بكل قضايا الأمة العربية الإسلامية وذلك بمعايشة أحداثها، وانتقاد سياسية حكامها، وتخاذلهم أمام المستعمر وسعيهم إلى طمس ثوابت هذه الأمة، وزعزعة معالمها الحضارية.

المبحث الثاني: مظاهر البعد الديني في ديوان "يوميات التمرد والتحدي" الشاعر: محمد عطوي".

لقد تجلت مظاهر البعد الديني في ديوان الشاعر **"محمد عطوي"** واضحة المعالم، فنجد عمله الإبداعي هذا جاء مؤكدا على انتماء صاحبه إلى العقيدة الإسلامية، خاصة وأن الشاعر ينطلق من مرجعية دينية، فنجد قصائده تحتوي على حشد معتبر من المفردات والعبارات والمعاني ذات البعد الديني، ومصطلحات اقتصر استخدامها على القرآن الكريم، فالشاعر **"محمد عطوي"** تارة يقتبس قصائده من فيض جماليات النصوص الدينية كما هي دون إجراء تحوير عليها وتارة أخرى يشرب

نصوصه الشعرية بمعان دينية بحيث يكون هذا الإشراب مباشرا أو غير مباشر حول المعنى المقصود، وإما نجده يستدعي شخصيات إسلامية لها مواقف كشخصية **"علي ابن أبي طالب" – رضي الله عنه-** وما يمثله من رمزية في خروجه عن الظلم والاستبداد.

كما تعمد الشاعر استحضار شخصيات تاريخية لها باع طويل في الاستبداد والطغيان كأبي لهب، فاستحضاره كشخصية يحمل دلالة واضحة مفادها أنها شخصية موسومة بالظلم.

كما نجده أيضا يستلهم أحداث من القرآن الكريم كحادثة الفيل وحادثة مخاض السيدة العذراء **– مريم بابنها عيسى- عليها السلام.**

كما يستلهم الشاعر من تجربة الانتفاضة الفلسطينية أمثلة، ليخلد من خلالها البطولات التاريخية المدونة في سجل التاريخ الإسلامي.

وسنتطرق إلى هذه المظاهر بالتفصيل كالآتي:

1. التناص من القرآن الكريم لفظا ومعنا:

إن القارئ لديوان **"يوميات الشرود والتحدي"** يظهر له بوضوح تجلي مظاهر البعد الديني، وهذا من خلال حضور النصوص القرآنية والمعاني المستوحاة من القرآن في هذا الديوان، فنجد الإيحاءات كثيرة والأفكار المتعددة التي انشقت من المعاني القرآنية ومظاهر التناص والتضمين كاد يكون غالبا في شعر **"محمد عطوي"**، وهذا يعود إلى تشبع الشاعر بالقضية الإسلامية وتأثره بها وإيمانه المطلق بأن السبيل الوحيد للخروج من مأساة الشعوب عامة تكمن في التوجه لهذا الدين.

ثانيها: اعتقاد الشاعر وإيمانه بأن الاستلهام من القرآن الكريم والتراث الديني يعطي دورا بالغا في نفوس الشعوب التي باتت مكبلة بقيود الانحطاط والانهزامية فلا ترى لذلك حلا سوى بالعودة إلى الدين الذي يتكفل بحل قضاياها ومشاكلها هذا الدين التي يخاطب فيها إحساسها ومشاعرها فتلجأ وتركن إليه.

ولا شك أن معظم الشعراء توجهوا إلى استخدام التصوير الفني بوصفه لوحة يعكس فيها الشاعر أفكاره ومشاعره وإحساسه.

فلقد كان التصوير الفني هو: "الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور عن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذ الحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذ النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة".[1]

فلا نبالغ إذا قلنا أن شاعر **"محمد عطوي"** في مقدمة هؤلاء الشعراء، لأننا لا نكاد نجد قصيدة من قصائد إلا وقد حملت في طياتها تناصا دينا من القرآن الكريم، فنجد مواضعا كثيرة في القصيدة متناصة مع القرآن الكريم، متناثرة في مجموع شعره، فتضفى على نصوصه ثراء وتمنحه قدرة على التواصل مع القيم الكبرى في تراثنا الديني والفكري.

[1] سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، ص36.

فلا شك أن التناص من شأنه أن يسهم أيما إسهام في تقوية معنى النص وتجسيد أفكاره مما يزيد قيمة وفعالية في وجدان القارئ.

والمتأمل لمواقع التناص الديني عند الشاعر **"محمد عطوي"** يجد تناصا متنوعا وأشكالا متعددة، فتارة يأتي لفظيا، وتارة يكون معنويا ومرة يكون إيحائيا، كما نجد جل موضوعاته - التي تحمل بعدا دنيا- تصور مأساة الشعوب العربية وضياع حقوقها خاصة فلسطين، وتتمثل هذه المأساة في الحكم المستبد فنجد الشاعر يوظف التناص في هجومه على الحكام المستبدين، ومن ثم تشريحه لواقع الأمة المرير.

ففي قصيدته (لو مرة واحدة) يقول الشاعر:

لو مرة واحدة يتفق حكامنا العرب.

لحققت شعوبنا العجب!

لكنهم تفككوا و نجمهم غرب.

رؤوسهم بلونة.

فارغة، مملؤة خطب!

قلوبهم أعجاز نخل كالقصب!

أنوفهم مجدوعة، ممزوغة.

وسط التراب!

أيديهم مسعورة، كالنار تأكل الحطب!!

"تبت يدى أبي لهب".[1]

فالشاعر هنا جسد (**أبي لهب**) أنموذجا لقمة الطغيان والاستبداد، لكن الهلاك هو المصير الذي يؤول إليه، وهذا حال كل متجبر مستبد، وهذا إشارة إلى الحكام المستبدين، حكام الأمة الإسلامية، فهم لا يختلفون عن أبي لهب في طغيانهم ومحاربة الإسلام والمسلمين ومصيرهم هو الهلاك والضعف مهما تجبروا.

والتناص هنا كان تناصا مع الآيتين الكريمتين من القرآن الكريم (تبت يدا أبي لهب وتب* ما أغنى عنه ماله وما كسب).[2]

كما نجد أن سورة "**المسد**" ترمي بظلالها في قصيدة أخرى من الديوان تعالج قضية الهوية للموطن العربي، فالقصيدة بعنوان "**سجل أنا عربي**"[*]، والتي تصور مواضع الضعف في الوطن العربي، والآفات التي نخرت جسد الأمة العربية (**كالسحر**) فنجده يجسد ظاهرة السحر والشعوذة في المجتمع العربي، مجسدا إياه في زوجة أبي لهب، لما تمثله من جهل وظلم ومصيرها الذي وعدها **الله** إياها به وهو العذاب الشديد يقول:

وجارتي..... حمالة الحطب

تمتهن البخورا.

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص82.

[2] سورة المسد، الآية 12.

[*] من قصيدة محمود درويش بطاقة هوية.

تلوي به الرقابا.

وتجذب النحورا.

وتهبط القمر.

بقصعة من ماء!!.[1]

وهذا يتناص مع الآيتين الكريمتين من القرآن الكريم: **{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ* فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}.**[2]

وبتصوير فني متميز، نجد شاعرنا يصور حال حكام العرب الانهزامي بعد أن تقاعسوا وتفرقوا، فيخاطب الأرض بأن تلهمه سفينة سيدنا **نوح عليه السلام.**

حتى يمسك بزمام القوة فيها فيرجع بذلك كرامة الأمة العربية، فنجده يستلهم قصة **سيدنا نوح – عليه السلام-** حيث أوحى له **الله عز وجل** ببناء السفينة فيحمل معه كل من آمن بما جاء به، لأنه عز وجل سيرسل طوفا على الكافرين.

لتستوي السفينة بعدها على **"جبل الجودي"**، فنجد الشاعر **"محمد عطوي"** يقتبس منه **"جبل الجودي"** عنوانا لقصيدته **"الهبوط على جبل الجودي"** يقول الشاعر:

يا أيتها الأرض

يا أمي الأولى

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص26.

[2] سورة المسد، الآية 45.

هات زلزلة فأواجه كيد السلطان.

هو ذا يسجني من أنفي

ويطوح بي كل مكان

يرسو أنى شاء

يرسو في كل الشطان

يرحل بي فوق العادة.

في فصل الريح، وفي نيسان

هيئ لي أيتها الأم سفينة نوح

ودعي لي جبل الجودي

ثم انفجري أيتها الأرض، عيونا وبحارا.[1]

وهنا تناص مع الآية القرآنية، لم يقتصر الشاعر **"محمد عطوي"** في تضمينه الاقتباس الجملي للقرآن الكريم، بل أن شعره جاء متشبع بمعان قرآنية توحي بتأثر الشاعر بالقصص القرآني وتعبيراته تتجلى روعا وإبداعا فيها، وها هو ذا يضمن قصيدته جانبا من قصة سيدنا يوسف عليه السلام وهذا التضمين جاء معنا، من قصة يوسف عليه السلام، معنا يوحي بالخيانة والغدر، حين غدر به إخوته فرموا به في غيابات البئر ليلتقطه بعض السيارة ليكون بعد دلك عبدا مملوكا يباع في السوق.

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص66.

فالشاعر هنا يوظف هذه الحادثة بتحوير واضح ومقصود لوطنه الذي بات أسيرا لخيانة وغدر من هم ليسوا بأهله، فيوسف عليه السلام، غدر به من هم أقرب -إخوته- فكان مصيره عبدا مملوكا يباع في السوق، وكذا حال وطن الشاعر الذي غدر به بعض أبنائه، فصار أسيرا في سوق الانتهازيين يباع!!!....

وهنا تقاطع واضح مع قصة سيدنا "يوسف عليه السلام".

يقول الشاعر في قصيدته "المنسوخ من صفحات الوطن":

آه يا وطني الحبيب، باعوك في سوق الظلام نخاسة.

ووزعوك على الصحاب!

وأنا هنا ....وسبعة

ساهرون....منصهرون كالحصى في رمل آب !

نهشوك يا وطني بمأدبة اللئام من الذئاب ! [1]

والتناص المعنوي هنا جاء في قوله **عز وجل** في محكم التنزيل: **{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) [سورة يوسف: الآية 19- 20]".**[2]

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص35.

[2] سورة يوسف: الآية 19- 20.

كما نجد الشاعر **"محمد عطوي"** يسحب المعنى الوارد في النص القرآني من سورة الفيل في قوله **عز وجل: { أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ*أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ*تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [سورة الفيل 105].**[1]

فيجسد هذا المعنى، في قصيدته مستلهما تلك الحادثة التي وقعت عام الفيل، فيستقي منها نهاية الظلم والاستبداد، وهذا في قصيدته **"كتابة في جو السماء".**

فيظهر لنا من خلال هذه الأبيات قوة إيمان الشاعر بنصرة الحق وزهق الباطل وهذا راجع إلى تشبع الشاعر بالقيم والمبادئ الدينية المنبثقة عن العقيدة الإسلامية.

يقول:

أعطني طائرة "أبابيلا"

أركبها

أحلق في جو إسرائيلا.

أرجمها

وأقذف القنابل "السجيلا".[2]

وأنسخ أسطورة

تضلل عقولنا تضليلا!

[1] سورة الفيل: الآية من15.

[2] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص75.

وفي وصفه لوطنه (الجزائر) يوظف الشاعر **"محمد عطوي"** مقارنة عجيبة مستلهما قصة السيدة العذراء-مريم- حيث جاءها المخاض إلى جذع النخلة، فناداها وليدها عيسى-عليه السلام- بهز الجذع كي تسقط عليها رطبا جنيا.

يقول **عز وجل: { فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزّىَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً}**[سورة مريم: **24-26**] .[1]

فصور الشاعر من خلال قصيدته كيف أن الجزائر تمخضت من رحم الألم والضعف كضعف مريم العذراء الجسدي، لكن مريم سرعان ما تهز بجذع النخلة لتقتات من رطبه، إلا أن الجزائر هنا ترتوي من دم الشهيد، لتقتات من الرطب الجني.

"فمريم العذراء" رغم ضعفها تهز بجذع النخلة لتساقط من رطبها الجني، لكن الشاعر صور الجزائر وقد تمخضت من رحم العذراء التي يرتوي من دم الشهيد، فتتساقط رطبا جنيا، وهنا كناية واضحة على المقاومة والصمود والتحدي الذي كان متأصلا في ثورة الجزائر المجيدة، والتي سجلت مواقفها البطولية على صفحات من ذهب.

يقول الشاعر في قصيدته (جغرافية التاريخ):

جزائري ....جغرافية التاريخ.

تبرعمت من رحم "العذراء"

إذا جاءها المخاض

[1] سورة مريم: 24- 26.

تحت نخلة خضراء

ارتوت بدم الشهيد

فتساقطت رطبا جنيا

إنها مولد الحقيقة الكبرى

من بعد سبع سنوات تترى

إنها البعث للونه الأخضر.[1]

وفي قصيدته **"لو مرة واحدة"** تبدو ظلال سورة التكاثر واضحة، **فالله عز وجل** في هذه السورة يخاطب بني آدم الذين ألهاكم التكاثر عن زيارة المقابر، فانغمسوا في ملذات الدنيا ونسوا اليوم الآخر يقول **عز وجل** في القرآن الكريم:**(أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (2) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(5)) ".**[2]

فنجد الشاعر يوظف تناصا لفظيا للآية الكريمة (ألهاكم التكاثر) في قصيدته، واصفا في الوقت ذاته انكباب حكام العرب على ملذات الحياة وشهواتها، بكل ألوانها وأصنافها من جاه ومال، ولعل هنا أيضا نجد تناص مع الآية القرآنية: **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ**

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص19.

[2] سورة التكاثر: الآية من15.

الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذّهَبِ وَالْفِضّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ).[1]

يقول الشاعر:

ألهاكم التكاثر، تكاثر النساء والحساء والطرب.

ألهاكم التكاثر، تكاثر الدنيا والدولار والذهب.

ألهاكم التفاخر، تفاخر القصور والتباهي بالرتب.

ألهاكم التناحر حول الأريكة، أريكة السلطان واللقب

وشعبهم تزني به الأكواخ والطاعون والسغب.

شبابهم، قواهم تهيئ الحقائب.

حقائب الفرار والأسفار والهرب.[2]

فالشاعر سحب المعنى من كلا السورتين من **(التكاثر)** و**(آل عمران)** وأسقطها في قصيدته، فيصف بذلك حال حكام العرب المؤسف، مجسدا وضع شعوبهم التي تتخبط في مستنقعات الفقر والضياع والأمراض.

نجد أيضا في ديوان **"يوميات الشرود والتحدي"** لـــ**"محمد عطوي"**، تجلي التناص اللفظي من القرآن الكريم في مواضع عدة.

[1] سورة آل عمران: الآية 14.

[2] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص81.

يقول الشاعر في قصيدته **"كتابة في جو السماء"**:

أعطني دبابة مدفعها عملاق.

أقودها بمفردي وأسبق الزقاق.

مقذوفة من مارج من نار.[1]

وهنا تناص لفظي من الآية القرآنية في سورة الرحمان قوله **عز وجل**:**(وَخَلَقَ الجَانّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ)**.[2]

كما نجد تناص لفظي أيضا في القصيدة نفسها يقول:

أقذفها ....

تفجر

تساقط، تساقط الأوراق.

هبت علينا ريح صرصر.

وهنا تناص مع الآية القرآنية **(وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)**.[3]

كما نجد الشاعر يوظف التناص في السورة نفسها، في قوله **تعالى**:**(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)**.[1]

---

[1] المصدر نفسه، ص77.

[2] سورة الرحمان: الآية15.

[3] سورة الحاقة: الآية 6.

فيقول الشاعر في قصيدته **"لو مرة واحدة"** واصفا حكام العرب:

رؤوسهم بلونة.

فارغة، مملؤة خطب!

قلوبهم أعجاز نخل كالقضب.[2]

ويواصل الشاعر توظيفه لعدد من النصوص القرآنية فنجد تناص مع الآية الكريمة **(فَادْعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).**[3]

فيقول ممجدا الثورة الجزائرية العظيمة في قصيدته **"جغرافية التاريخ"**:

إنها نسغ الوجود.

في الزمن الآني ولو كره الكافرون.[4]

إن الشاعر **"محمد عطوي"** قد ضمن حشدا كبيرا من المفردات والمعاني ذات البعد الديني وكذا مصطلحات استخدمها القرآن، وهذا يدل على تشبع الشاعر بثقافة دينه الواسعة، وقد قام الشاعر كذلك بامتصاص دلالات المفردات المتناصة بعد أن منحها رؤيته الخاصة في خطابه الشعري مما أكسبه قيمة فنية خاصة، ذات تأثير عميق في نفس المتلقي.

2. استدعاء شخصيات تراثية ذات بعد ديني:

---

[1] سورة الحاقة: الآية 7.

[2] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص82.

[3] سورة غافر: الآية 14.

[4] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص20.

لم يقتصر **"عطوي"** على القرآن الكريم في المحاكاة والاستفادة، وإنما أدخل التاريخ الإسلامي، وما يتصل به من شخصيات – سلبية كانت أم ايجابية- في شعره وجعلها (الأحداث، والشخصيات) مرموزة وموحية في محاولة منه لإعادة قراءة التاريخ وتوظيفه بصورة انتقائية هادفة، غالبا ما يرى فيها جانبا يرسم من خلاله صور لقوى البشر المتجددة في غير زمان، وغير مكان من هذا العالم الإسلامي أو يرى فيها تجسيدا لمواقف بطولية في إطار قانون القيم الدينية والأخلاق لذلك فإن "الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية".[1]

نجد الشاعر **"محمد عطوي"** يستدعي في قصيدته **"المنسوخ من صفحات الوطن"** شخصية دينية ذات بعد سلبي هي **"أبرهة الحبشي"** باستخدام تقنية الاسم المباشر، يحاول امتصاص الدور الذي قامت به هذه الشخصية تجاه رمز ديني ذات أهمية خاصة في الجاهلية والإسلام (الكعبة المشرفة) ومن ثم سحبه على الواقع المعاش، تمثل فيما يقوم به أبرهة العصر من تدمير وهدم واحتلال ومصادره للحريات الدينية.

يقول:

أحلق طيرا أبابيل.

أنسخ زيفة الألقاب.

أبرهة الحبشي.

[1] علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ص120.

ومن والاه من خيرة الأصحاب!

سأمضي .... حتى تستعبد الشمس مشرقها

وتأخذ ريحي عنكبوت الضباب

لقد استخدم الشاعر الدلالة المرجعية للشخصية لما تمثله من سلبية، فهو يحاول تحوير هذه الشخصية في شعره، ليبين من خلالها طغيان أبرهة العصر.

كما نجد الشاعر يستدعي شخصية دينية أخرى ذات بعد سلبي هي (أبي لهب) وقد أشرنا إليها سابقا في قصيدته **"لو مرة واحدة"**، ولعل استدعاء هذه الشخصية في شعره هو لما تمثله من قمة الطغيان والظلم والاستبداد، فامتص هذه الصورة وجسدها على حكام العرب، يقول:

أيديهم مسعورة، كالنار تأكل الحطب.

"تبت يدا أبي لهب".[1]

إضافة إلى هذا استدعى الشاعر شخصية **"علي ابن أبي طالب" رضي الله عنه** مستخدما سيفه الذي أشهره – **رضي الله عنه-** في وجه الظلم فنجد الشاعر يستدعي هذه الشخصية لما تمثله من رمزية في الخروج عن الظلم والطغيان فيقول مدافعا عن وطنه:

سأمضي في جناحي صواريخ العراق.

وفي يدي سيف علي.

ثم يواصل نبرة التحدي والصمود التي انبثقت من صلب عقيدته فيقول:

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص82.

وبقلبي نور عقيدتي....وبالروح كتابي

أحلق طيرا أبابيل.[1]

من خلال هذين البيتين الشعريين للشاعر **"محمد عطوي"** - نلتمس تمسك الشاعر بعقيدته والاعتزاز بالانتماء إليها، والاعتزاز بكتاب **الله عز وجل** فنجد يستخدم في ذلك ألفاظا قوية تترك جرسا موسيقيا في ذهن القارئ.

3. استدعاء أحداث تاريخية وحضارية ذات بعد ديني.

إذا كان الشاعر قد استدعى شخصيات تاريخية ذات بعد ديني، سلبية في معظمها، فإنه يستدعي أيضا حوادث تاريخية لها دلالات من شأنها الكشف عن نفسية الشاعر التفاؤلية، ففي قصيدته **"كتابة في جو السماء"** يستدعي حادثة (هدم الكعبة) – من قبل أصحاب الفيل- بصورة إيحائية فيستخدم مفردات ذكرت في آيات من سورة الفيل، ليجعلها رمزا واضحا لإبادة الظلم والطغيان الذي اعترى واقع الأمة العربية فيقول:

أعطني طائرة "أبابيلا"

أركبها....

أحلق في جو إسرائيلا

[1] المصدر نفسه، ص37.

أرجمها

وأقذف القنابل "السجيلا"

وأنسخ أسطورة.

تظلل عقولنا تظليلا.[1]

بالإضافة إلى هذا نجد الشاعر يطرح قضية الانتفاضة الفلسطينية برمزية مستوح من هذه التجربة أمثلة حية، يحاول من خلالها استنهاض همم الشعوب العربية مؤكدا على صمود وإرادة الشعب الفلسطيني الذي سجل نضاله عبر صفحات التاريخ الإسلامي.

فنجده بصور المحتل الصهيوني (اليهود) بالغبار الذي ينشر في شوارع فلسطين زارعا الرعب والاضطراب فيه، لكن سرعان ما تتأجج مشاعر الفلسطينيين الذين حملوا الحجارة منتفضين في وجه الصهاينة، فيرمز لفلسطين بالمطر الذي يطفئ زوبعة ذاك الغبار فيقول:

في المدينة الغبار المنتشر

تدفعه الرياح من شارع لشارع

فيعلو تارة وطورا ينحدر.

يكتسح الشوارع، فيعلق بالأوجه،

ويغلق المناخر.

إلى قوله:

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص73.

يظل هكذا الغبار ينتشر

حتى يجيئه المطر، من السماء حجرة.

يقذفها الأطفال مرة ومرة ومرة

فتغسل الشوارع

وتخمد اللهيب المستعر!

فليسقط المطر.

فليسقط الحجر.[1]

ولعل ما يمكن قوله هو أن الشاعر **"محمد عطوي"**، أبدع في تصويره الفني بوصفه الانتفاضة الفلسطينية، فأسلوب مبسط وبقالب إبداعي مميز يجعل القارئ يتفاعل مع أبيات هذه القصيدة لما تحمله من حس تاريخي منبثق من رؤية إسلامية ووعي قومي.

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص21.

المبحث الأول: تعريف القومية ونشأتها ودور اللغة والأدب في بنائها.

1.مفهوم القومية:

لغة:

من الفعل قام – يَقُومُ – قِيام – قوام – قَيُوم – قَويم، يقال رجل قويم وقوام بمعنى حسن القامة وجمعها، قوام، وقِوامَ وقِوامُ، قامته وحسن طوله – وانشد ابن برى رجز العجاج قال:

أيام كنت حسن القومية

صلب القناة سهلب القوسية

والقوام حسن الطول، يقال هوحسن القامة والقومية والقمة.

- **الجوهري:** وقامة الإنسان قد تجمع على قامات وقيم مثل: تارات – تير، قال: فهوقيام ولحقه التغيير لأجل حرف العلة؛ وفارق رحبه – رحابا حيث بم يقولوا رحب كما قالوا قيم – وتير.

- **الأصمعي:** القومية: القوام – القامة، فلان حسن القامة والقمة بمعنى واحد وأنشد: فتم من قوامها قومي.

ويقال فلان ذوقومية على ماله وأمره، وتقول هذا الأمر لا قومية له أي لا أقوم له لا حقيقة له – القوم – القصد.

القوم الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها، وقوم الرجل أقاربه، عصبية القوم: النهضة، يقال قاموا قومه واحدة.

القومي: من يؤمن بوجوب معاونته لقومه ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع المضرة/ الوطني: يقال العيد القومي والزعيم القومي.

القومية: صلة اجتماعية وحدانية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع.[1]

اصطلاحا:

عرف مصطلح القومية تعريفات عديدة فهناك من يعرفها بشكل شامل وفضفاض لا تفي بالغرض، فيقول بأنها هي حالة عقلية يشعر بها الفرد بأن ولاءه الأمي يجب أن يكون للدولة.

في حين يعرفها كمال الدين رفعت بأنها "صفات ثابتة مشتركة في مجتمع معين تعطيه اسم الأمة، وأن التي تكون الأمة الواحدة، وتحدد الوطن الواحد، وهي وحدة المشاكل التي تواجهها هذه الأمة ووحدة العوامل التي تسيطر على تكوينها وعلى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ووحدة الحلول التي تحتل المشاكل وتعالجها".[2]

أي أن القومية يقصد بها جملة العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية وتضمنها في إطار وحدة تعرف بالوحدة القومية، وتعرف هذه الجماعة باسم الأمة، ومن ثمة كانت العلاقة متينة بين القومية والأمة، وبين الأمة والدولة والتي تعد هذه الأخيرة تنظيم سياسي يمثل ذا وحدة قومية يعيش في إقليم معين ومنه فالقومية تعني التعبير عن الانتماء للأمة.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، الجزء السابع، ط. مراجعةو ومصححة لمعرفة نخبة السادة الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، 2003، ص 546.

[2] حتام العناني و محمد عصام طربية: التربية الوطنية و التنشئة السياسية، دار حامد، عمان، الأردن، 2007، ص 31.

وبما أن مصطلح القومية مفهوم سياسي اجتماعي حديث، فإنه واجه عراقيل ومشكلات قومية من بينها وحدة الجنس واللغة التي تربط الجماعة.

"... من العوامل التي تعتبر إحدى مشكلات القومية وحدة الجنس أي اشتراك الجماعة في صفات خلقية معينة ووحدة اللغة، وهي صلة التخاطب بين الجماعة وتشمل آدابها والثقافة المنبثقة عنها، ثم وحدة العادات والتقاليد... بالإضافة إلى ارتباط هذه الجماعة بأحداث الماضي والتاريخ، واشتراكها في السعي لتحقيق أماني وآمالي مستقبلية".[1]

غير أن هذه العوامل كلها تتفاعل، بنسب متفاوتة في بلورة وتكوين الحياة القومية وتجسيد روح التعاطف فيها.

"... لكن ليس من الضروري أن تتفاعل جميع هذه العوامل، بنسب متساوية في تكوين روح التعاطف التي تسود الحياة القومية، إلا أن بعضها يكون ضعيف الأثر أومعدوما كعامل الجنس فيحل محله غيره كعامل اللغة أوذكريات الماضي المشترك والتي مر بها العالم العربي".[2]

فالتفاعل بين هذه العوامل يكون نسبيا في تجسيد الشعور القومي.

وما يجدر ذكره أيضا هوأن تضيق دراسة القومية من قبل الباحثين وإعطائها تعريفا متشعبا الدلالة في إطار إيديولوجية محددة، يستلزم بالضرورة صعوبة إيجاد تعريف موحد للقومية.

---

[1] عميراوي أحميدة: ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر، دار الهدى، جامعة الأمير عبد القادر، عين ميلة، الجزائر، ص 60.

[2] المرجع نفسه، ص 60.

لذا نجد **"فريدريك"** هرتز في كتابه الجنسية في التاريخ والسياسة يرجع سبب الغموض في إعطاء تعريف واضح للقومية هوحصرها في إيديولوجية معينة "...ولعله سبب الغموض ذاته عكف المهتمون على دراسة القومية وإعطائها تعريفا يلك بأكبر قدر ممكن من دلالتها، ولكن لما كانت أغلبية الباحثين في القومية من العرب – هم دعاة إيديولوجية معينة سواء بطريقة مباشرة أوغير مباشرة- فإنه بطبيعة الحال يستأثر بالقضية المعينة التي يدعوإليها ولذا يستحيل إيجاد تعريف موحد للقومية".[1]

ولعل هذا من بين الإشكاليات التي حصرت قضية القومية في إطار معين ومحدد إلا أن هذا لا ينفي أنها – القومية – حركة روحية ترمي إلى بعث القوى الداخلية في الأمة لتحقق قابليتها العقلية والنفسية، خاصة وأنها تستمد طاقتها وحياتها من الدين الذي يفرض عليها احترام الأديان فلا تنافي ولا تعارض معها، وإن حدث ذلك فليس هومن الروحية الدينية بشيء كون أن الدين الصحيح نبع مع القومية العربية من معين واحد.

وعليه فالدين من عوامل بنائها أي القومية، خاصة القومية العربية المنضوية تحت راية الإسلام.

1.1. تعريف القومية العربية:

اختلفت آراء الدارسين لمفهوم القومية العربية، فمنهم من يرى بأنها "هي هذا الشعور الجامع للأمة العربية التي تسكن الوطن العربي الممتد ما بين حدود إيران والخليج العربي شرقا، والمحيط

[1] فريدريك هرتز: الجنسية في التاريخ و السياسة، نقلا عن عبد الغني البشري، أثر السياسية القومية في الحركة القومية العربية، دار المعارف، مصر، 1966، ص 01.

الأطلسي غربا، وما بين تركيا والبحر الأبيض المتوسط شمالا، والصحراء الإفريقية الكبرى والحبشة والمحيط الهندي جنوبا والتي تتكلم اللغة العربية".[1]

أي أن القومية العربية شعور جامع للأمة العربية الناطقة بلسان عربي، ومحددة بحيز جغرافي معين.

ويرى البعض الآخر أن القومية العربية "هي شعور وإرادة واعية، قوامها الروابط اللغوية والتاريخية والثقافية والنفسية المتجسدة بالآمال المشتركة بين العرب، وهي فكر عقائدي ومذهب اجتماعي عربي يهدف لإقامة أمة عربية اشتراكية موحدة، توجه طاقاتها للتحرر القومي والإنساني".[2]

فالقومية إذاً شعور نبع من الروابط المتينة والمتجذرة في الفكر العربي والمتمثلة في التاريخ المشترك والموحد الذي يرمي للآمال الموحدة بين العرب، من أجل إقامة كيان عربي متنقل وموحد.

لتكون بذلك القومية العربية مترامية الأطراف تضم كل أنحاء الوطن العربي ولا تتخلى عن شبر منه.

وتقوم القومية العربية على الأسس التالية:

1. **الإخاء:** والأخوة في الطبيعة. تقوم القومية العربية على مبدأ هوإذا أحدهم صرخ آخ، استجاب لندائه العرب من المحيط الهندي إلى الأطلسي".[3]

---

[1] سليم ناصر بركات: الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي، دار دمشق، بيروت، 1984، ص 197.

[2] المرجع نفسه، ص 198.

[3] المرجع نفسه، ص 199.

أي أن رابط القرابة في القومية لا يقف عند حدود البنيان الرحماني المشترك بل تعداه إلى إخوة الثقافة.

2. **المصالح المشتركة:** فالبلاد العربية الممتدة من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي تتمتع بمركز تجاري عسكري يؤهلها بأن تتربع على مكانة تجعلها تشترك في المصير، "ولا سبيل لاستفادة هذه الأمة مما وهبتها الطبيعة، بغير دولة تجمع شمل العرب تحت راية واحدة".[1]

3. **الدفاع المشترك:** الوحدة العربية هي السبيل الأمثل لتحقيق تكتل صارم لتصدي أمام موجة الأعداء، فالوحدة من أجل إقامة نظام ديمقراطي يرفع كل الحواجز ويحقق وحدة شاملة.

وعليه يمكن القول أن القومية العربية تقوم على ثلاث أسس انطلاقا من مبدأ الأخوة والترابط في القرابة مرورا بالمصالح المشتركة للأمة العربية وصولا إلى الدفاع المشترك من أجل تحقيق وحدة وتماسك وثيق.

فكلمة قومية تعني قيام دوي القربى (أي أبناء الأمة) للدفاع عن حقيقتهم المشتركة، وهي الأمة، وعن تراثهم ومثلهم العليا.

[1] سليم ناصر بركات: مرجع سابق، ص 200.

2. نشأة القومية العربية وظهورها.

1.2. نشأة القومية العربية:

انقسم الباحثون في تحديد فكرة القومية العربية، فمنهم من يرى بأنها قديمة قدم العرب في التاريخ، ومنهم من يرى أنها رافقت نشوء القومية الحديثة التي عاصرت النهضة الأوروبية، خلال القرنين الثامن والتاسع عشر وبداية القرن العشرين.

إلا أنه لا يوجد اختلاف في أن مسقط رأسها كان ببلاد الشام والعراق في الوقت الذي كانت فيه الأقاليم الأخرى مثل مصر والمغرب العربي تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي، مقطوعة التواصل مع أنحاء المشرق العربي، أما عن شبه الجزيرة العربية، فقد كانت ظروفها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية تحول جون ظهور حركة قومية فيها.

وقد عرفت الحركة القومية في المشرق العربي نضوجا خلال القرن التاسع عشر، وهذا راجع إلى الاحتكاك بالغرب الذي بدأ منذ حملة نابليون في أواخر القرن الثامن عشر، وما نتج عنه من ايجابيات تجسدت "... بالتعرف على النظريات والمؤسسات والمبادئ الغربية واقتباس علوم الغرب ومشاركته في مظاهر الحضارة، والانتفاع من اختياراته واختراعاته ومدارسه ومعارفه ومنتوجاته".[1]

فالاحتكاك بالغرب ساهم في توسيع نطاق الوعي في البلاد العربية بإدخال المطبعة وما صدر عنها من صحف ومجالات دورية، ضف إلى ذلك إدخال المخترعات الحديثة إلى الوطن العربي، ومد جسر التواصل الفكري والثقافي مع جامعات أوروبا، ليعم التطور بعد ذلك سائر أنحاء الوطن العربي،

[1] سليم ناصر بركات: الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي، ص 188.

إلا أن هذا الاحتكاك ولد سيطرة الاستعمار الأوروبي وهيمنته على كثير من ديار العرب، فسعى إلى محاربة كل حركة توحيدية (قومية) في الوطن العربي، على الرغم من هذا كله كانت هناك حركة إحيائية للتراث العربي القديم تمثلت في "جهود المستشرقين في نشر التراث العربي القديم من أدب وعلم وفلسفة وفنون واجتماعيات.

فقد أخذ هؤلاء ينقبون المخطوطات العربية القديمة ويحققونها ثم ينشرونها وقد امتاز كثيرون منهم بالصدق والأمانة، وإن كان بعضهم قد عالج الأمور بروح استعمارية وعدائية للإسلام والعروبة".[1]

فالمستشرقون حملوا لواء إحياء التراث العربي القديم، وبعث اليقظة الأدبية والعلمية. "وهكذا فقد بدأ الوعي القومي الحديث، إذن بنهضة ثقافية، فكان للثقافة العربية واللغة العربية دور كبير في تكوين الأمة العربية، حيث وجد العرب فيه شخصيتهم التاريخية وذاتهم، وفيه استيعاب لدورهم التاريخي".[2]

إذا فالثقافة العربية واللغة العربية هما المعين الذي صقل قالب الأمة العربية، ليكون بعد ذلك الوعي القومي العربي بوتقة تشكلت فيها الشخصية التاريخية للعربي فيدرك بعدها دورهم ومكانته التاريخية.

[1] سليم ناصر بركات: مرجع سابق، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 190.

إضافة إلى الاحتكاك بالغرب في نضوج الوعي القومي العربي، التغييرات التي أدخلها "**إبراهيم باشا**"، والتي تولد عنها بروز حركات استقلالية في كل من مصروف وفلسطين واليمن. إضافة إلى الحركات الأدبية والعلمية بكل من لبنان وسوريا، أين عرف الطموح القومي نضوجا وتناميا للأفكار التي يحملها والمبادئ التي ينشدها، "... ويتمثل هذا الطموح في حركة شباب الجامعة الأمريكية، ثم جعلته النهضة والجمعية الوطنية في دمشق، وقد كانت تهدف كلها إلى العمل على تحريك الشعور القومي مع التذكير بأمجاد العرب والدعوة والاستقلال العربي الذاتي...".[1]

وعليه يمكن القول بأن الوعي القومي العربي تبلور في برامج الأحزاب والجمعيات التي ظهرت بعضها في طابع علني والأخرى سري.

"وقد أخذ بعضها الطابع العلني كجمعية الإخاء والمنتدى الأدبي، ثم المؤتمر العربي في باريس كما كانت بعض التكتلات السياسية كالجمعية القحطانية...".[2]

وهذه الجمعيات جاءت وليدة للنشاطات الثقافية كالحركات القومية.

إضافة إلى ذلك الجمعية العلمية السورية التي عكست مظهر من مظاهر الوعي القومي من خلالها ضمها مختلف الطوائف، وقد سعت إلى بعث روح العروبة في النفوس.

[1] جورج انطونيوس: يقظة العرب، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1996، ص 157.

[2] سليم ناصر بركات: الفكر القومي و أسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي، ص 191.

والمتأمل في الحركة القومية بالوطن العربي يجد أنها مرت بمرحلتين، الأولى تمثل في إعجابها بالحركة الرومانسية الأدبية مما أدى بها إلى محاولة بعث اللغة العربية وآدابها القديمة، ثم المرحلة الثانية التي اتسمت بتأثرها بالحضارة الغربية لتكون بذلك قد حققت قفزة في منحى مسارها.

انطلاقا من الطابع الثقافي الذي اكتساها إلى توجهها لمناحي سياسية اجتماعية "فتبلور بذلك الوعي القومي وأقيمت القومية في المشرق على جذور ثقافية اكتسحت طابعا ثقافيا في بداية الأمر ثم تطورها تدريجيا فاتجهت إلى النواحي السياسية والاجتماعية والناحية الأدبية".[1]

وما يميز الوعي القومي في الوطن العربي هو اتخاذ اللغة العربية دعامة حضارية أساسية في فضاء وحيز جغرافي تاريخي يعكس هوية الأمة، أي أن اللغة العربية هي المقوم الأساسي للشخصية العربية، "ويتمثل الوعي القومي أيضا في الاهتمام باللغة العربية، واعتبارها المقوم الأول للشخصية العربية، وهذا الاهتمام حفزه انتشار المدارس التي أنشأتها البعثات التبشيرية".[2]

فاللغة العربية إذاً هي الأرضية الخصبة التي أينعت منها جذور الحركة القومية العربية التي سعت إلى وحدة العرب.

"فالحركة القومية لم تكن إقليمية مجزأة، بل فكرت في مصير العرب واتجهت إلى وحدة العرب، وهذه ظاهرة ملموسة للفكرة القومية النابعة من الجذور".[3]

---

[1] جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص 72.

[2] عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للقومية العربية، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ص 60.

[3] سليم ناصر بركات: الفكر القومي و أسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي، ص 193.

فالشعور القومي العربي سعي إلى ضرورة توحيد الهدف وهوالعمل على إقامة كيان عربي متميز.

2.2.عوائق القومية العربية:

إن التأمل في تاريخ مسار ظهور القومية العربية يجد اختلافا بارزا مقارنة ما عرفته أوربا من نضوج للوعي القومي وتنامي أفكاره.

ولعل تأخر ظهور القومية في الوطن العربي راجع إلى جملة من العوامل من بينها:

أ. **الحكم القبلي:** الذي ساد المجتمع العربي لقرون طويلة حيث كانت وظائف الحكم فيه تقوم على الشخصية بأقسامها الثلاث: شيخ القبيلة، شيخ الطريقة، شيخ الريف.

ويتسم هذا الحكم بالطابع الأرستقراطي البحت، لكن سرعان ما زال هذا الحكم ليحل محله نظام الدولة، فتولد صراع بين نظام والقبيلة ونظام الدولة ونظام الخلافة، "... أي أن الصراع استمر بين نظام القبيلة القائم على العصبية الضيقة، ونظام الدولة المدنية بقيادة الرئيس أو الملك أو الداي، ونظام الخلافة بقيادة الإمام الخليفة.

ولهذا الأخير كانت تؤمن بالتسليم له والتخلي عن الفردية والقبلية بالانتماء إلى الجماعة الدينية، واستمر هذا الصراع، وشكل عائقا أمام وصول القومية العربية إلى هدفها".[1]

[1] توفيق برو: نظرات في نشوء فكرية القومية العربية، مجلة سيرتا، العدد 4، قسنطينة، الجزائر، 1980، ص 98.

ب. **الوجود العثماني:** بسطت الدولة العثمانية قدراتها وقوتها لحماية الأقطار العربية الإسلامية من الغزو الصليبي والمغولي، مما أكسبها ثقة الشعوب وهذا ما جعلها تتربع الحكم أكثر من قرن، لكن سرعان ما دب الضعف في السلطة بنهاية الحكم السلطاني سليمان القانوني (1520 – 1566).

"حيث أخذ بعدها الضعف يشق طريقة نحو زعزعة كيان السلطة وإدارتها، فبدأت أعمال التمرد والعصيان، ومحاولات الانفصال بسبب عدم استقرار عملية الإصلاح واتساع رقعة الإمبراطورية المطردة، وكذا تجانس عناصر القومية زد على ذلك عدم وجود رابطة معنوية شديدة الوثاق تشدهم إليها".[1]

فمن الرغم كل ما عرفته الدولة العثمانية من ضعف في تلك الفترة إلا أن كل محاولات الانفصال لم تنجح في مساعيها، واقتصر الأمر على محاولات إصلاحية لأحوال الأمة.

أي أن فكرة الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية كانت عائقا أما الحركة القومية العربية على الرغم من اضمحلال نفوذ الدولة العثمانية وتراجع هيبتها على ما كانت عليه، خاصة وأن هناك مساعي خفية من قبل أعداء الدولة العثمانية في القضاء عليها.

"... ومن العوامل كذلك تشجيع الدولة القريبة للعرب على القيام بالثورات الانفصالية عن الخلافة العثمانية بأن دعمت الزعماء العرب بالمال والسلاح وضغطت على الدولة العثمانية بالتراجع عن تطبيق مشاريعها".[2]

---

[1] توفيق برو: مرجع سابق، ص 98.

[2] يوسف القرضاوي: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، دار البعث، قسنطينة، 1984، ص 154.

ضف إلى ذلك تأثير الفكر الأجنبي في دفع ركب الحركة القومية العربية إلى التقدم من خلال اتصال العرب بالثقافة الأوروبية، فولد انبهارا عربيا خاصة عندما عملت الثورة الفرنسية على حماية حقوق القوميات تحت شعار "إن الثورة مع الشعوب وضد الملوك" مناهضة في مبادئها للدولة العثمانية.

"... بتشجيع الحركات القومية العربية بتقديم وعود الحرية والاستقلال، فحمل العرب السلاح ضد الدولة العثمانية (الأتراك)، ولكنه وبعد القضاء على النفوذ العثماني انقلبتا الدولتان على الحركات القومية العربية لخنقها".[1]

والمقصود بالدولتين هما: فرنسا – انجلترا اللتين شجعتا الحركة القومية العربية ترميان بذلك إلى تصفية الوجود العثماني.

إضافة إلى ذلك يوجد عامل آخر ساهم في عرقلة وتطور الحركة القومية في البلاد العربية وسعى إلى تمزيق الوطن العربي، وخلق النزعات الإقليمية فيه.

"ولقد عمد الاستعمار غلى تمزيق الوطن العربي، وتوزيعه وتجزئته، كي يتمكن من قهر هذه الأمة، فنهب خيراته وأثار النعرات الطائفية، وحارب اللغة العربية".[2]

فالاستعمار خطا خطوات كبيرة هادفا إلى تشتيت الأمة العربية بسياسة مدققة ومدروسة، وهذا ما يستلزم كرد فعل حتمي هو التمسك بالقومية العربية، "...وإن الرد الوحيد على جميع هذه

[1] يونس أحمد البطريق: الدعوة إلى القومية في المجتمع العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1968، ص 26.

[2] سليم ناصر بركات: الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي، ص 209.

الأساليب، هو التمسك بقوميتنا، بعروبتنا، ففي ذلك العلاج الشافي والكافي..."[1] فالقومية هي الحضن المنيع لتصدي موجة الاستعمار الخبيثة.

كل هذه العوائق والعراقيل باتت مركز انطلاق لبوادر القومية العربية وهذا حسب ما أكده عبد العزيز الدوري الذي يؤكد قائلا:

"كان للفوضى والتدهور اللذين أصابا الأقطار العربية بسبب الحكم العثماني والتغلغل الأوربي أثره في ظهور الحركة القومية العربية التي ظهرت في اتجاهين، أحدهما يدعو للإصلاح والآخر يدعو للانفصال عن الخلافة العثمانية إذ كانت هذه العوامل سببا في نشأة القومية العربية...".[2]

أي أن العوائق التي اعترت طريق القومية العربية – انطلاقا من الحكم القبلي ونظامه الارستقراطي مرورا بالوجود العثماني وما صاحبه من خلافات كانت تتحدد وتمتزج خلالها النزعات الدينية مع النزعات القومية فتزيدها إضراما، وصولا إلى الهيمنة الأوروبية على الوطن العربي وما نتج عنه من تشتيت سياسي، وانتشار للنزعات الإقليمية فيه. كل هذه ولدت اتجاهين منبثقين عن الحركة القومية العربية.

3.2. عوامل بناء القومية:

لقد باتت القومية العربية أمام محك التحدي مع العصر الحاضر خاصة بعدما طابعا هاما في بعث الوعي الاجتماعي بتأصيل مفهومها وأصول فلسفتها. وتتبع لمسارها التاريخي، فكان لازما العمل

[1] سليم ناصر بركات: مرجع سابق، ص 209.

[2] عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للقومية العربية، ص 60.

على تحديد إطار وعوامل بنائها فهناك من يرى: "أن القومية من حيث الأساس هي القرابة والترابط المعنوي المثمن في وحدة اللغة وفي التاريخ المشترك والجنس، وبالإضافة إلى عناصر أخرى جغرافية وتاريخية واقتصادية وثقافية كالتعايش المشترك على أرض معينة ولمدة طويلة من الزمن والمصالح والأهداف المشتركة والتكافل الاقتصادي أو التجانس العقلي والروحي".[1]

فالترابط المعنوية المتمثل في وحدة اللغة والتاريخ والجنس وكذا المصالح المشتركة والأهداف الموحدة كلها عامل من عوامل بناء القومية العربية وبتفاعل هذه الخصائص وتجسيدها على أرضية الواقع تسمح بتكوين قومية قائمة بذاتها، وبأطر تاريخية جغرافية ثابتة، وهذا يرجع إلى "أنه توافرت فيها وحدة اللغة والتراث والتقاليد والمثل وتمازجت فيها الأنساب والسلالات وتعايشت فيها النحل والعقائد وربط بينها الاشتراك في الأهداف والمصالح والتطور الحضاري".[2]

واللغة العربية متجذرة هي الأخرى في القومية العربية، "...واللغة العربية في القومية العربية ثابتة عبر التاريخ من نشوء الفكر القومي العربي والدليل أن العرب تحدثوا لغة واحدة اصطنعها كبار الشعراء".[3]

[1] ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1748 – 1939)، دار الهناء للنشر، بيروت، لبنان، ص 362.

[2] المرجع نفسه، ص 362.

[3] المرجع نفسه، ص 362.

فهذه اللغة سارت في مضمار يستوعب دورين هامين وبارزين: فالأول يكمن في حفظ التراث الإسلامي العربي، والثاني بعث الشعور بالعروبة في صدور أبنائها حفاظا على شخصيتهم العربية من الموجة الأجنبية.

وليس المقصود بالعروبة هنا عروبة سلالة أو عصبية، بل عروبة اللسان والتي ترتكز على اللغة الفصحى إذ هي رابطة إنسانية متينة.

ومما لا يختلف عليه عاقلان هو أن اللغة العربية كانت محل اهتمام زعماء التجديد الفكري لتحريرها من قيود الصناعة اللفظية والزخرفة الفنية التي اكتستها، وباتت تعرقل سير ركب الحياة الجديدة، فما فتئت أن تحررها من تلك القيود حتى سايرت نهضة العالم العربي.

وبرز دورها التاريخي واضح المعالم لدعم الوحدة العربية في ثوبها الجديد، لتتوسع الآفاق بعدها أمام العرب للحفاظ على عروبة اللسان، والنهل من تراث اللغة الفصحى وآدابها.

"عرف العرب كيف يحافظون على الأساس الأول في بناء قوميتهم وهو عروبة اللسان، ثم عرفوا كيف يتخذون من تراث لغتهم الفصحى غذاء لعقولهم، وقواما لشخصيتهم، ومن أدبها إذكاء لعواطفهم، وإلهاما لمشاعرهم، وبعثا لعزائهم وصلة بين ماضيهم وحاضرهم".[1] فاللغة العربية عامل هام في بناء القومية العربية.

وبالإضافة إلى عامل اللغة والأدب في تكوين القومية، يرى ساطع الحصري أن اللغة والتاريخ هما العاملان الأصليان اللذان يؤثران أيما تأثير في تكوين القوميات؛ فالأمة التي تفقد تاريخها تكون قد

[1] ألبرت حوراني: مرجع سابق، ص 362.

زجت بشعورها إلى مقصلة السبات، واستعادت وعيها شعورها يتطلب منها العودة إلى تاريخها القومي والاهتمام به، أما فقدانها للغتها يضعها في عداد الأموات.

فإذا كانت اللغة روح الأمة ومحور القومية وعمودها الفقري فالتاريخ هو ذاك الشعور الذي يحرك الأمة بل ويحفظ ذاكرتها، فهو الذي يكون شخصيتها.

ولا يقصد التاريخ ذلك المدون في الكتب وفي المطبوعات والمخطوطات بل يقصد به ذاك التاريخ الحي في النفوس الشائع في الأذهان.

وعليه يمكن القول أن وحدة التاريخ تولد تقاربا وثيقا في العواطف والنزعات وتماثل في الذكريات الماضية.

3. حضور القومية في الشعر الجزائري:

لطالما كان الشعر ديوان العرب المخلد لأثرهم وأخبارهم ومرجعا حيا يحفظ لهم كل المواقف البطولية ويجسد المشاعر الإنسانية، وهذا ما أبرزته الذاكرة الشعرية على مر الزمن وعبر المراحل المختلفة، محاكيا الإنسان في شتى حالاته وأوضاعه، فقد برهن الشعر العربي بصفة عامة على مصداقية ومكانته بحمله لمضامين راقية ومعبرة والشعر الجزائري كان أحد أبرز هاته الأقطاب الشعرية لما حملته من معان سامية عبر سنين طويلة قبل وبعد وحتى إلى يومنا هذا.

فالشعر الجزائر كان حافلا بصور قضايا عديدة متصلة بقضايا أمته العربية وهذا ما يعكسه ثراء إنتاج الشعراء الجزائريين بموضوعات كثيرة متصلة بالوطن العربي، فا لطالما حرك الشعر الحماس في النفوس وبعث الشعور الوطني والقومي في القلوب.

فالبحث عن الأبعاد التي حملها الشعر الجزائري في مضامينه، وخاصة البعد القومي يثبت بجدارة أن الشعر الجزائري ليس محدودا في تفاعله.

"إن الحركة الأدبية ذات صلة وثيقة بالوضع الوطني الاجتماعي، فقد كان الأديب دائما ضمير الأمة وصدا همومها وأمالها ولسانها المعبر عن معاناتها وطموحها، يرصد جوانب الخير والشر فيها، داعيا إلى سعادة الإنسان وصون كرامته وكرامة وطنه معلنا عدائه لكل أشكال الظلم والقهر وكل أساليب التي تتعرض لها حرية الأفراد والأوطان".[1]

والمتتبع لمسار ظهور القومية العربية في الشعر الجزائري يجد عوامل هيئت لها مكانا في الشعر الجزائري الحديث من بينها:

1- الاستعمار: إذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية بنهضة فكرية حديثة خاصة حين نقل إليها (الاستعمار) حملة نابليون وما نتج عنها من نقل للمطابع والصحف والمجالس العلمية، فإنه يختلف الأمر تماما بالنسبة للجزائر.

التي حاول الاستعمار طمس معالم تاريخها العريق، وتزوير وتشويه كيانها، ونهب ثرواتها، مما أدى إلى اعتراء موجات عنيفة بشخصية الأديب الجزائري، إلا أنه سعى جاهدا إلى الحفاظ على مقوماته وملامحه كأديب، رغم قوة الموجه الاستعمارية فتفاعل مع ما حدث في العالم العربي، سواء عندما كان تحت سيطرة الاستعمار وحتى بعد الاستقلال، والمتأمل لمسار هذا التفاعل يجد محنة

[1] عمر بن قينة: في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص62.

فلسطين من أبرز القضايا التي أثرت في نفس الشاعر الجزائري، فانفعل معها بصدق وإخلاص عميقين لأنه يعبر عن تجربة شعب عاش ويلات الحرب وعرف قساوتها.

فالاستعمار إذا شد الخناق على الجزائر فباتت تتخبط في أوحال الجمود والخذلان تتطلع إلى من يشد بأرزها، في الوقت الذي كانت شقيقتها في العالم العربي الإسلامي تتمتع ببعض الحرية، مما يسمح لها بالمحافظة على خصوصياتها الاجتماعية والثقافية والحضارية، رغم الاحتلال الأوربي لها، والذي كان على اختلافه وألوانه، حماية كان أو انتدابا.

"فمدت يدها إلى الأشقاء في الوطن العربي، مغربه ومشرقه، حيث كانت رياح النهضة الحديثة تهب على الربوع هناك، فكانت الاستجابة، وكان العناق...

وقد ظلت هذه الصلة العامة بين الجزائر وبين شقيقاتها بالمغرب والمشرق وطيدة".[1]

وعرف هذا التواصل أشكالا من بينها البعثات التعليمية إلى المشرق وعن طريق الجرائد والصحف، والاحتكاك المباشر بإبداعات أعلام المدارس الأدبية الحديثة وعليه يمكن القول بأن الاستعمار رغم ما حمل من سلبية على الشعر الجزائري من خلال بثه لسموم الركود والجمود في حركة الأدب، إلا أنه أحي في نفوس الشعراء الجزائريين – دون أن يدرك- روح القومية التي حفزت إلى ضرورة الانطلاق والثورة من أجل الوطن.

[1] محمد بن سمينة: في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها بدايتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003، ص57.

2- بوادر المؤتمر الوطني1936: انعقد هذا المؤتمر الشعبي سنة 1936، وعرف حضور الآلاف من المواطنين واشتراك عدد من الهيئات الوطنية، وتحدث فيه الخطباء عن تاريخ الجزائر وحاضرها، ووصفوا آلام وآمال الشعب الجزائري، فتكلم في ذاك المؤتمر الشعراء فهيجوا الحماس وحركوا النفوس وتغنوا بالوحدة العربية من أجل أمة عربية واحدة.

3- الحرب العالمية الثانية: عرفت الجزائر بالإضافة إلى الهزات الوطنية المتمثلة في عقد مؤتمر هزات الحرب العالمية الثانية، وما تمخض عنها من انبثا قات شعبية وتطلعات هادفة نحو غد جديد.

ففي هذه المرحلة أخذ الشعر الجزائري على عاتقه الدعوة إلى الوحدة الشعبية والوطنية، والتحرر من سجن الماضي الأليم، والاعتزاز بمقومات الوطن الكبير.

1.3. القضايا العربية في الشعر الجزائري:

لقد تفاعل الشاعر مع قضايا أمته العربية، وعكس إحساسه العميق تجاه قضاياه، فحمل لواء الدفاع عنها، رغم كل المحن التي كانت تمر بها الجزائر، والتي أراد لها أعدائها الفصل عن كيان الأمة العربية فما كان الشاعر الجزائري حينها سوى أن يتثبت بمقومات عقيدته التي تلهمه الإرادة والقوة لتمسك بكيان الوطن الكبير، ولعل أبرز قضية عربية حازت مساحة معتبرة من الشعر الجزائري هي:

1- قضية فلسطين: وتعد من بين القضايا التي احتفى بها الأدب الجزائري، خاصة بعد ما أحس الشعب الجزائري– ومنذ وقت مبكر- بالمؤامرة الصهيونية الاستعمارية على فلسطين فتعلق الجزائريون بفلسطين نابع من التقدير العميق لقيمتها الدينية والتاريخية التي حفلت بها عبر الزمن.

وانطلاقا من هذا نجد الشعراء الجزائريين التفتوا بمشاعرهم النبيلة تجاه هذا الوطن الغالي، ومن بينهم الشاعر **"ابن باديس"**، و**"الإبراهيمي"**، **"محمد العيد آل خليفة"**، **"أحمد سحنون"**، و**"العقبي"** وغيرهم.

يقول الشاعر **"محمد العيد آل خليفة"** مسخرا كل طاقته الحماسية والفنية مخاطبا فلسطين فيطمئنها بأن العرب لن يتخلوا عنها أبدا:

فلسطين العزيزة لا تراعي فعين الله راصدة تراعي.

وحولك من بني عدنان جند شديد البأس يزأر كالسباع.

وإذا استصرخته للحرب لبى وخف إليك من كل البقاع.

يجود بكل مرتخض وغال ليدفع عنك غارات الضياع

بليت بهم صهاينة جياعا فسحقا للصهاينة الجياع

ستكشف عنهم الهيجاء سترا وترميهم بكل فتى شجاع.[1]

فالشاعر هنا يشيد بخصائص العرب وبأمجادهم، وأن العرب لن يتوانوا في الوقوف أمام وجه الصهاينة، يشتد التوحد والتمسك بين أبناء الأمة العربية بأسلوب حماسي وقوي.

كما نجد الشاعر **"أحمد سحنون"** هو أيضا أبدى حماسه في الدفاع عن القضية الفلسطينية، يقول متحمسا للمشاعر على خوض الحرب وسخرية بالصهاينة التي ينعتهم بالذباب:

[1] عبد الله الركيبي: قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر، 2009، ص69.

لقد شبت بأرض الشرف نارا لها القبة الأولى التهاب.

وأنتم خير من خاضوا لظاها فكيف بروعكم هذا الذباب

سيغدو والموقدون لها وقودا ومن رام الخراب له الخراب.[1]

كما أننا نجد شاعرنا "**محمد عطوي**" في ديوان "**يوميات الشرود والتحدي**" يقحم هذه القضية المركزية في قصائده، وهذا ما أشرنا إليه سابقا.

وما يمكن قوله هو أن الشعر الجزائري كان من بين قضاياه الهامة هي قضية فلسطين التي استجاب لها الشعراء الجزائريين بوحي من إحساسهم العربي ومن الشعور بمسؤوليتهم نحوها، هذا لجزء الذي يعد جزءا هاما من وطننا العربي الكبير.

وبالموازاة مع القضية تفاعل الشعراء الجزائريين مع قضايا ثورية عاشها الوطن العربي في كفاحه ضد الاستعمار الغربي منذ عرف الاحتلال والغزو، وكان للحوادث التي شغلت الرأي العام العربي أثرها على نفوس الشعراء الجزائريين خاصة، والشعراء العرب عامة.

فشعرائنا "....كانوا يراقبون نضال الأمة العربية ويشاركونها في أحداثها رغم الحواجز التي تفصل الجزائر عن المشرق العربي، ورغم الحواجز المتعمدة التي لجأت إليها فرنسا لتفصل بين الجزائر والأمة العربية، حتى بين أقرب الأقطار إليها".[2]

ومن بين الثورات العربية التي هزت نفوس الشعراء الجزائريين وعبروا عنها نجد:

[1] ديوان أحمد سحنون: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص128.

[2] عبد الله الركيبي: قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، ص113.

2- ثورة سوريا: هذه الثورة التي تعرضت لها سوريا بقنابل الفرنسيين عام1925، واتلي عبر فيها الشعب السوري عن سخطه وثورته على الاستعمار الفرنسي الذي لجا إلى سياسة القتل والتدمير ضده.

هذه الثورة هزت الشاعر الجزائري، فعبر عنها ودعا فيها إلى الجهاد والنضال ومن بين الأوائل الذين عبروا عنها الشاعر **"أبو اليقضان"** من خلال قصيدته التي يبدأها بالجهاد والتضحية:

ابن صرح المجد عن أسى الضحايا وأشد عرش العلى رغم البلايا.

حض غمار الهول غوصا إنما لؤلؤ التيجان في بحر المنايا

إن في الموت لطلاب العلى لحياة، لاحيا أهل الدنايا.[1]

فالشاعر **"أبو اليقضان"** وإن تألم لم ضل بدمشق، فإنه يرى فيه طريقا إلى التحرر فالسجن والنفي والمشانق هي الدرب المؤدي إلى الحرية فيقول:

ليس حكم النفي والسجن ولا الحكم بالشنق له إلا مطايا

أي شعب نال ما نال إذا لم يقدم سلفا تلك الهدايا.

أي شعب نال حريته وهو لم يطلع لها تلك الثنايا.[2]

[1] عبد الله الركيبي: مرجع سابق، ص113.

[2] المرجع نفسه، ص115.

ومن القضايا العربية الثورية التي انفعل بها شعراؤنا أيضا، حوادث القتال وثورة الشعب المصري قبل الجلاء وقبل ثورة1952، وبعد إلغاء معاهدة 1936 وما فعله الإنجليز في ذلك الوقت، وقد انفعل الشاعر **"محمد العيد"** بهذه الحوادث وبالمقاومة التي كانت تفض مضاجع الإنجليز.

ففي قصيدته **"يا مصر"** نداء للجهاد وحث على المقاومة وإشادة بمواقف المصريين الذي يتصدون ضد الجيش الإنجليزي.

أغار على الكنانة شر عاد فقل يا مصر حي على الجهاد

أعدي كل بأسك واستعدي لرد الزاحفين بلا إتئاد

حنوا باسم الحماية منك حينا مجاني زودهم خير زاد

وكنت بجيشهم في الحرب حصنا تحطم عنده زحف الأعادي[1]

3- قضايا المغرب العربي: إن قضايا الثورة والحرية في العالم العربي – مشرقه ومغربه- كثيرة والشعر الذي قيل فيها كثيرة، حتى بات ديوان الشعر الجزائري حافل بنصرة القضايا العربية، كما أن إنتاج الشعراء فيها غزير، خاصة قضايا الثورة بالمغرب العربي، فنجد **"مفدي زكرياء"** يتغنى في الذكرى الرابعة لاستقلال تونس يقول:

يا شعب تونس، كم لتونس في الفدى صفحات مجد، خطها الأمجاد

وأكرم بها حرية قربانها يا تونس المهجات والأكباد

[1] عبد الله الركيبي، مرجع سابق، ص117.

وأذكر لأحرار البلاد مواقفا يسموا بها في الخالدين جهاد

وصعد وخض يا شعب البنآ فالعز من عرق الجبين يشاد

المغرب العربي أنت جناحه حرك جناحك يصعد المنطاد.[1]

4- ليبيا: وهي من أشد البلدان المغرب العربي قرابة وجوار لشعراء الجزائر، ظفرت باستقلالها 1952، هذه السنة التي كتب فيها شاعر الجزائر **"محمد العيد آل خليفة"** قصيدته فيقول:

أمل تحقق بعد طول نضال ومثال فوز كان خير مثال.

واستقلال ليبيا كان مناسبة ليعلن محمد العيد آل خليفة تلك العلاقة التاريخية بين كلا الشعبين الليبي والجزائري، وإن تناولها تناول عاديا لطبيعة الموضوع ومناسبته:

إن الوشائح بيننا لا تقتضي كالجسم غير تعاون الأوصال.[2]

وغيره من الشعراء الذين كتبوا في المقام الأخوي ولاستقلال ليبيا، مشيدين ببطولات المجاهدين الليبيين في دفاعهم عن أرضهم حماية لعروبتهم وصونا للدين الإسلامي المتأصل في نفوسهم.

أما الشاعر الجزائري **"صالح خرفي"** فإنه جمع الثورات العربية كلها في قصيدة واحدة، وربط بين هذه الثورات وبين ثورة نوفمبر الجزائرية، فعرض هذه الثورات دون تركيز أو تفصيل وإنما هي لمحات فقط.

[1] مفدي زكرياء: اللهب المقدس، ص123.

[2] عمر بن قينة: شخصيات جزائرية، ص103.

فيبدأ من ثورة الجزائر التي يرى فيها عاملا هاما يساعد على وحدة المغرب العربي، الذي ثارت كل أجزائه، يقول:

يا ثورة في (المغرب العربي) وحدت القلوب ووثقت فيه العربي.

أمست به الخضراء حمراء الروابي كل شبر عبأته معسكرا.

"والمغرب الأقصى" تطلع زاحفا في ظل رايتها يسير مظفر.[1]

كما أنه يعرض ثورة – ليبيا وفلسطين وكذا كفاح بور سعيد ضد العدوان الثلاثي كما يتحدث عن سوريا ولبنان وعن كفاحهما من أجل الحرية إضافة إلى قضايا إنسانية عربية أخرى.*

والحديث عن حضور القومية في الشعر الجزائري أمر يتطلب بحث علمي مفصل، لأن إنتاج شعرائنا غزير في هذا الجانب، كون أن الشاعر الجزائري سعى إلى تصوير إحساسه لقضايا الثورة في الوطن العربي فكان إحساسه صادقا، لأن شعوره كعربي جعله يحس بواقع الأحداث خاصة وأن - الشاعر- ضمير الأمة وصدى همومها وأمالها ولسانها المعبر عن معاناة وطموح شعبها.

[1] عبد الله الركيبي: قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، ص124.

* ينظر: عبد الله الركيبي: المرجع نفسه، ص120.

المبحث الثاني: مظاهر البعد القومي ودلالته في ديوان "يوميات الشرود والتحدي" لـ "محمد عطوي":

إن المتتبع لديوان **"يوميات الشرود والتحدي"** يجد تفاعل الشاعر **"محمد عطوي"** مع قضايا الوطن العربي- بصدق وإخلاص عميقين- فجاء الحس القومي متوقدا بديوانه يستقي من معين الانتماء الإسلامي، مجسدا حميمية العلاقة بين الإسلام كعقيدة، والأمة العربية كوحدة قومية، ولعل هذا ما يؤكده المفكر التونسي **"محمد مزالي"** حين قال: "إن البعد القومي والبعد الإسلامي من ثوابت الهوية الوطنية ومن مقوماتنا الحضارية والروحية والثقافية الأساسية منذ أربعة عشرة قرنا، ولا يمكن أن نقابل بين الاتجاه القومي والإسلامي كما حاول ويحاول ذلك بعض أعداء الوطن العربي".[1]

ولعل من أبرز مظاهر البعد القومي التي تجلت في الديوان:

1. التغني بالعروبة والاعتزاز بها:

يتضح مبدأ الشاعر العام الذي يلون ديوانه وهو اعتزازه بقوميته وعروبته رغم كل المحن والآلام التي تعتري وطنه العربي، فنجد كلماته تجتمع حية لتجسد عمق الانتماء القومي، إيمانا منه ما للكلمة من دور في الحفاظ على الوعي التاريخي القومي الذي يعد من ثوابت الأمة.

[1] عمر بن قينة: دراسة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة 1999، ص97.

فنجده –عطوي- يعبر بتاريخ أمته وبطولات أمجادها بنبرة تسمو لتفتخر بماضي الأمة العربية، فتبرز ظاهرة المقاومة في شعره إذ هو تجسيد فعلي وحقيقي للانتماء القومي العربي يقول في قصيدته "كتابة في جو السماء"[1] :

أعطني طائرة "أبابيل"

أركبها...

أحلق في جو إسرائيل

أرجمها

وأقذف القنابل "السجيلا"

وانسخ أسطورة

تظلل عقولنا تضليلا !

أعطيني طائرة لأكتب في الجو

أنا الذي ليس يعي أسطورة أو مستحيلا

أعطيني طائرة لا قلما

يسجل قصيدة يهلل لها تهليلا !

أعطنيها يا صدام"

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص73.

طالما عللت نفسي بها تعليلا

أعطنيها ! أوتراني قتيلا

"كابن فرناس" أراد أن يطيرا

***

أعطني منصة قاذفة للصواريخ

لأكتب الأسطورة/ الحقيقة/ الواقعة

التي يذكرها التاريخ

"عراقنا شمامة معطرة

أراد "بوش" شمها

فقام "صدام" بسيفه فاقتطعه !

ولما سال أنفه يغسله

وولى دبره

ركله فأبعده !

فراح في دمائه مجدافا ما أجمله

وطار "صدام" محلقا...منتشرا جناحه

ما أعظمه

أعطني منصة لأقذف "الحسين"

يسافر مدويا "لتل أبيب"

يصلها عند المساء جائعا

يأكلها مثل الزبيب

إلى أن يقول:

أعطني منصة أذكر اليهود حقنا السليب

أعطينها، يا حسين، آن الأوان أن نحطم الصليب

2. الالتزام بالقضايا العربية:

- **قضية فلسطين:** لطالما تربعت قضية فلسطين على ديوان الشعر العربي عامة، فألهبت الشعور القومي للشعراء لما تمثله هذه القضية من إرث حضاري هام.

فنجد الشاعر **"محمد عطوي"** هوا لآخر يقدم هذه القضية في لوحة فنية متميزة، وهي رؤية تسمو عن الأداء المباشر وتتجه نحو الأداء الرمزي والأسلوب الإيحائي، ففي قصيدته (غبار ومطر) يتحدث عن الانتفاضة الفلسطينية فيرمز لفلسطين بـــ (المطر) وللمحتل الغاشم الصهيوني (بالغبار) يقول:

في المدينة الغبار المنتشر

تدفعه الريح من شارع لشارع

فيعلو تارة وطورا ينحدر

يكتسح الشوارع

فيعلق بالأوجه

ويغلق المناخر

وبالزجاج يمنع الأشعة، ويحجب القمر !

كالريح يحمل الأطفال في طريقه،

ويكشف النساء في مسيرة القذر !

يظل هكذا الغبار ينتشر !

حتى يجيئه المطر،

من السماء حجرة

يقذفها الأطفال مرة ومرة ومرة

فتغسل الشوارع

وخمد اللهيب المستعر

فليسقط المطر !

فليسقط الحجر !

وعندما يأتي المطر

وعندما يأتي المطر

تهدأ الرياح

ويخرج الفلاح

لحقله القريب

في الوطن الحبيب، فتنبت السنابل

ويرجع الحمام الزاجل

ويرقص الأطفال في مرح

من فوقهم قوس قزح [1].

- **قضية الصومام:** إضافة إلى قضية فلسطين، نجد الشاعر **"عطوي"** يصور الواقع الذي يعيشه الصومام من مجاعة وضياع، وفي الوقت الذي ينعم فيه الحكام العرب، متناسين هذا الوطن الذي يتخبط شعبه في المجاعة، فنجد الشاعر **"محمد عطوي"**، يركز على هذا الواقع فيصور بأسلوب يتعدى التعبير العاطفي المحدود إلى سعة التشكيل الجمالي يقول في قصيدته **"الهياكل تزحف نحو الشمال":**

فطمتني الحياة من الحياة

لا ثدي اليوم أرضعه...

عيشي البيداء حيث الرمال تحرقني

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص22.

ولا ماء أشربه !

غذائي الهواء يهب عواصفا

الرمل يحملني، والرمل، والرمل أقتاته؟

هذي الرمال لو بقيت ماء مالحا،

أمسكت الأسماك بها، للشمس أعرضها

الشمس تقليها والبطن تملأه

*** لكنني اليوم هيكل**

من العظام يجرني، وأجره...

أزحف نحو الشمال... الجوع يأكلني

والجوع آكله !

والدمع يشربني، والدمع أشربه !

أزحف إلى قصر أبوابه من فضة،

والمفتاح من ذهب يغلقه !

فيميل السلطان عني بوجهه،

ودبري بالرجل يركله !!

أو يمنحني فتات موائد،

لأضحي في القصر –يوما- أخدمه !!

*** لا... يا أيها "السلطان"**

هيهات أيها الشيطان

هذا القصر لست أدخله...

"سأدخل عليك أنت آكلك"

أو أدخل وسط التراب آكله !

*** جوع كلبك يتبعك "لست أفهمها"**

"جوع كلبك يأكلك" مثل سأنشده

هذي الهياكل من ورائي تتبعني

لا طائرة نستقلها، ولا قطار نراكبه...

إلى القصر زاحفون...كي نزلزله !!

إليك أنت تأكل لحمك الطري

لا نبقي فيك شيئا

حتى العظم نكسره

إلى حيث كنا راكلوك

إلى الجنوب...هناك تعمره !! [1].

3. تصوير واقع الأمة العربية:

بتصوير فني متميز جسد الشاعر **"محمد عطوي"** المحن والآلام وكل مظاهر الضعف والهوان التي يمر بها الوطن العربي، فعبر بصدق عن قوميته وعروبته، متحسرا على واقع أمته وما اعتراها من ضعف وانحطاط فنجده في قصيدته (سجل أنا عربي) والذي بدا فيها متأثرا بالشاعر الفلسطيني **"محمود درويش"** يجسد مواطن الضعف في وطنه العربي فيقول:

سجل: "أنا عربي.

وهويتي مفقودة

وليس لي وزن على الأرض

فالشاعر يصور هنا التهميش الذي يعيشه المواطن العربي في وطنه بلغة انهزامية فيقول:

فأنا ريشة لا تستريح

عشت مستدمرا

ولتلقيت مستعبدا

ولم يزل دمي يسبح

سجل: أنا عربي

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص22.

وبابي مفتوحة لكل الداخلين

نافذتي مشرعة الجناح

وسقفي المثقوب، تصفر به عواصف الرياح

ثم يعبر الشاعر عن الهوية العربية التي اهتزت جراء الغزو الفكري الأوروبي للشباب العربي يقول:

أذناي واللسان

كلاهما أوروبيان

خانتا "أذن الخليل"

وهانتا لساني الفصيح !

***

وشعري الطويل أنثني

وشعري القصير ذكرني

فها أنا –امرأة/ رجل- !!

كما يصور العنف الأسري في المجتمع العربي فيقول:

سجل: أبي لم يرفع السيف اليماني

من أجل "أمي" التي تصيح !

ولم يزل يمارس في وجهها الملاكمة

يسحبها من شعرها

ودمها مسفوح !!

إلى أن يصف مظاهر التشتت والتفرق بين المجتمع الواحد فيقول:

وإخوتي... لا يكرهون غير بعضهم

لا يرغبون

أن يحملوا السلاح

أن ينجبوا جيلا جديدا

يعشق الكفاح !

إضافة إلى ذلك يصور آفة السحر والشعوذة التي تفشت نتيجة الجهل الذي آل إليه المجتمع يقول:

وجارتي..... حمالة الحطب

تمتهن البخورا.

تلوي به الرقابا.

وتجذب النحورا.

وتهبط القمر.

بقصعة من ماء!!

ثم يواصل في تجسيد واقع الأمة العربية، بلغة تحكمية انهزامية تنم عن غيرة الشاعر وتحسره على هذا الواقع يقول:

سجل: أنا عربي

أعمل في اليوم ساعتين

وأتقاضى أجر ساعات ثمانية

ومصنعي في المقهى،

وفيها معملي... والأدوات

وحرفتي المفضلة !

فورق... وحجر... وقهوة علينا دائرة

وصيحة لرشمة... وضربة في عرض الطاولة !

وأرضنا؟

بالنفط رزقنا:

به نستورد اللحوم والقموح

وحرفة الفلاحية قديمة مبهدله !!

سجل: أنا عربي

داخل في سن الأربعين

ومقبل على الزواج

وفي قبيلتي:

زواجنا قضية تناقش في هيئة الأمم

وتنتهي بحق "الفيتو"

أو بالطلاق والندم

في ليلة الزفاف

أو بعد "شهر من بصل !!"

سجل: وفي قبيلتي زواجنا به عشرون حلقة

بكل حلقة... طلقة وفاة !!

سجل: أنا عربي

وزوجتي تريدني كالقهوة المعصورة

تشربها في الصباح والمساء

تريدني كالسلم

إلى أن يقول:

سجل: وجدي الذي يرتكز على عصاه

يردد في صبحه وفي مساه:

من صعد إلى القمر

فقد كفر

وبئس منتهاه !

***

سجل بآخر المطاف

" نحن لا نستأهل الحياة !!" [1].

كما نجد **"عطوي"** في قصيدة أخرى يصور مظاهر الضعف والواقع المزري الذي آلت إليه الأمة العربية، بعنوان **"مقتطفات أيام العرب"** يقول في المقطع الأول:

(سكين على ظهر الواقع)

نحن ممزقون

بين ما كان... وما ينبغي أن يكون

بين الحقيقة المثلى

والواقع المسكين !

سابح في دماه

في ظهره سكين

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص23.

العرب على ظهر السلحفاة

خيم اليأس علينا

واحتوتنا الظلمات

وفقدنا كل خيط للماني في الحياة !

كلما سرنا بدرب خطوة

سرنا وراء خطوات

فلكنا قد ثقبت وسط البحار المزبدات

استعار الغرب منا أجنحا طار بها،

واعتلى العرش...

وبقينا في المسير سلحفاة !!

أجنة وجدار

أجنة قوادنا في بطون الأمهات

وشعبنا طفل صغير

يحبو... يفتش عن جدار كي يقف !

حضارة الأعراب

لأننا أعراب

لنا زمان والتراب ومالنا الإنسان

الإنسان عندنا كريشة في كفة الميزان

من كف "سيدي السلطان"

يطوق بها الإعصار

يلفها الدخان !! [1].

من خلال هذه القصيدة تتجلى دعوة الشاعر الواضحة إلى التفطن إلى الواقع المزري للأمة العربية، والركود الذي يشل حركتها، وضرورة تغيير هذا الواقع بكل تعقيداته ومآسيه.

4. الدعوة إلى الوحدة العربية:

من خلال قصائده، ينشد الشاعر **"محمد عطوي"** الوحدة العربية مستنكرا في الوقت ذاته حال الحكام العرب وموقفهم الانهزامي، فالشاعر يصرح بضرورة الوحدة العربية رافضا تذويب الهوية العربية في بوتقات إقليمية، فنجده في قصيدته (لو مرة واحدة) يستخدم أسلوب التمني، للتعبير عن حرقته ورغبته الشديدتين إلى التكتل والتوحد في الوطن العربي يقول:

لو مرة واحدة يتفق حكامنا العرب

من فاسنا إلى حلب

لأخضوضرت فردوسنا في أرضنا

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص61.

وحققت شعوبنا العجب !

***

لو مرة واحدة يتفق حكامنا العرب

تحولت خريطة العروبة

جنات خلد ملؤها الحقول والنخيل

ملؤها الزيتون، والرمان والعنب !

تجري بها الأنهار في صفائها

وفي عذوبة ترقرق، تعانق السحب !

تشدوبها الأطيار في رواحها

وفي غدوها معزوفة الأمل

في السهل والجبل

يلحن بها أبناء آدم

أغنية الإله في رياضه الأشب

تنسجها "حواء" رقصة ملائكية

على بساط أخضر، في جنة هي الأرب

لو مرة واحدة يتفق حكامنا العرب

لأزهر الفرح

وقدسنا تزينت عروسة،

تزوجت قوس قزح !...

إلى أن يقول:

لو مرة واحدة يتفق حكامنا العرب

تحررت من اليهود قدسنا

ورفعت من نكسها رؤوسنا

وخرجت من بؤسنا نفوسنا

وانطلقت تبني خلية تملؤها عسل

تعيد نجمها الذي أفل !

تعيد مجدها الذي اغتصب[1].

فالشاعر هنا يدعو إلى الوحدة العربية والتي تعد هي السبيل الوحيد لتجاوز كل الإخفاقات والانكسارات التي اعترت واقع الأمة، إذا فالتكاثف والتكتل العربي هو الحل الصائب لخروج الأمة الواقع المزري الذي آلت إليه.

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص79.

كما نجد "**عطوي**" يقحم الجزيرة العربية في قصيدته "**الهبوط على جبل الجودي**" لما تمثله من مرجعية عقائدية ورابطة وثيقة بين الأمة العربية الإسلامية وإرث حضاري هام فالشاعر يتحسر على حال الأمة العربية وخاصة الجزيرة العربية التي بانت مكبلة بقيود الركود والانحطاط يقول:

أعلام عروبتنا تعلوفي كل مكان،

ورؤوس عروبتنا مثل البصل،

أو كالخفاش تتدلى في ذل زمان

آه يا أيتها الأرض!

أعيريني الروح لأعيد وجه الإنسان

وأعيريني أيتها الأرض:

موج البحر،

صهد الشمس،

ضوء القمر،

عصف ألريح

لأعيد وجه جزيرتنا العربيه

يا أيتها الأرض!

يا أمي الأولى،

هات زلزلة فأواجه كيد السلطان

هو ذا يسحبني من أنفي...

ويطوح بي في كل مكان،

يرسو أنى شاء،

يرسو في كل الشطآن

يرحل بي فوق العادة:

في فصل الريح، وفي نيسان

هيئي لي أيتها الأرض(سفينة نوح)

ودعي لي(جبل الجودي)،

ثم انفجري،أيتها الأرض،عيونا وبحارا[1].

إذا ما يمكن قوله في هذا المبحث هو أن جل قصائد **"محمد عطوي"** جاءت موشحه بحس قومي عربي ينم عن عمق الانتماء القومي، وهذا ما يؤكده الطابع الذي اكتست به جل قصائده (أي غلبة الطابع القومي عليها).

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص66.

فالشاعر ينشد من خلال قصائده الوحدة العربية وضرورة استمرار الصمود وخلق التواصل مع تاريخ الأمة العربية، إلا أن شاعرنا **"محمد عطوي"** استخدم أسلوب تهكمي ولغة متشائمة في تصوير الواقع المزري للأمة العربية، بغية استنهاض الهمم وتأجيج المشاعر في نفس القارئ.

وعلى رغم من طغيان اللغة التشاؤمية إلا أن نهايات القصائد كلها نهايات انتصار لا انهزام، فالتحدي هو منهج صاحب الديوان.

المبحث الأول: الانتماء الوطني مفهومه أبعاده وحضوره في الشعر الجزائري.

1. الانتماء الوطني مفهومه:

الانتماء لغة:

الانتساب يقال: انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب[1]. أو معناه: انتماء الولد إلى أبيه انتسابه إليه واعتزازه به والانتماء مأخوذ من النمو والزيادة والكثرة والارتفاع، فالشجر ينمو والحيوان ينمو، وكذلك الإنسان.

الانتماء اصطلاحا:

ويشترك تعريف الانتماء اصطلاحا مع التعريف اللغوي بأن كلاهما انتسب ويمكن تعريف الانتماء اصطلاحا بصورة عامة بأنه "الانتساب الحقيقي إلى أمر معين فكرا وتجسده الجوارح عملا"[2].

وبما أن الانتماء انتساب الفرد لوطن، والرغبة في تقمص عضوية ما، لمحبة الفرد لذلك والاعتزاز به، فإن الانتماء للوطن يكون حينها يصب في قالب التضحية من أجل هذا الوطن والنابعة من الشعور المتدفق في عمق الفرد واعتزازه بانتمائه الوطني.

---

[1] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص1828، ابن منظور، لسان العرب ج15، ص342.

[2] عمر سليمان بدران: هكذا يون الانتماء للوطن. نقلا عن دراسة لـــ: سميح الكراسنة وغيره. الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة النبوية، 2008، ص 03.

1.1. الانتماء الوطني:

يمكن تعريف الانتماء الوطني على انه "عملية انتساب الفرد لوطنه، متفاعلا معه قولا وعملا ومستعدا لنصرته والذود عنه بكل ما يملك"[1].

وهذا التعريف يشير أن الانتماء أهم مقومات الوطنية التي يجب الاهتمام بها وقد سعى الإنسان منذ القدم إلى إصدار القوانين التي تحدد طبيعة انتمائه إلى المكان الذي ولد وعاش فيه، فكانت ممارسة الانتماء تابعة لطبيعة النظام ومنحه حقوق المواطنة للجميع ومدى حرص المواطنين على أداء واجباتهم وممارسة حقوقهم في الوطن الذي يعيشون فيه[2].

فالإنسان في حياته ينتمي إلى دوائر إنسانية متعددة تتكامل ولا تتناقص، والانتماء الوطني هو أحد هذه الدوائر، وليس ثمة تعارض بينه وبين غيره من دوائر الانتماء.

الوطن: لا شك فيه أن الوطن لا يعني الأرض والتراب فحسب، بل هو يتجاوز ذلك ويدخل في الوجدان الإنساني، بحيث أن العاطفة الإنسانية جلبت بشكل أو بأخر على ضرورة الانتماء إلى وطن بما يحتضن من أرض وقيم وتطلعات، وأن هذه الضرورة تتعدى باستمرار من طبيعة العلاقة التي تربط الوطن بالمواطن والعكس فالوطن هو البوتقة التي تصب فيها الأبعاد المادية والأبعاد القيمة

[1] عمر سليمان بدران : مرجع سابق، ص05.

[2] ينظر عبد الرضا الطعان: الفكر السياسي في العراق القديم. دار الشؤون الثقافية بغداد ط1976/2، ص323.

والمعنوية، كونه ضرورة إنسانية وحضارية، فلكل إنسان في هذا الوجود وطن يحن إليه، ويسعى إلى منحه كل شروط القوة والعزة.

1.2.1.تعريف الوطن:

لغة:

هو موطن الإنسان ومحله "وطن يطن وطنا": أقام به، وطن البلد: اتخذه وطنا، توطن البلد: اتخذه وطنا، وجمع الوطن أوطان: مترل إقامة الإنسان ولد فيه، أم لم يولد، وتوطنت نفسه على الأمر، حملت عليه والمواطن جمع مواطن: هو الوطن أو المشهد من مشاهد الحرب [1]. قال تعالى: "لقد نصركم الله في مواطن كثيرة...".

والمواطن: الذي نشأ في وطن ما أو أقام فيه وأوطن الأرض: وطنها واستوطنها واختطنها أي اتخذها وطنا.

أما في الاصطلاح:

عرف"**الجرجاني**" الوطن في الاصطلاحي بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه.

[1] ابن منظور: لسان العرب الجزء 13.ص 451.

أما في معجم المصطلحات الدولية السياسية: "الوطن هو البلد الذي تسكنه أمة أو شعب بارتباطه لها وانتهائه إليها" [1].

وهناك من يرى "أن الوطن المراد هنا هو الوطن الخاص، الذي يولد الشخص فيه ولادة ونشأة، أو نشأ فقط وتعارف الناس عليه في العصر الحاضر بالحاصل على الجنسية أو رابطة جنسية، وهو لبنة متماسكة في بناء الوطن العام الذي يحد بالعقيدة الإسلامية ولا يحد بالحدود الجغرافية.

لذلك فالانتماء الوطني يعني بمفهومه الاصطلاحي الوطنية، وهي "ارتباط وانتساب الفرد أو الجماعة إلى قطعة معينة من الأرض، والتعلق بها، وحب أهلها وأصحابها، والحنين إليها عند الاغتراب عنها والاستعداد للدفاع عن كيانها ضد الأخطار التي تهددها، ويتطور حب الأرض وأهلها إلى حمايتها والذود عن حياضها..." [2]. ولهذا المعنى والتصور سالت عبرات "**الحبيب المصطفى**"- صلى الله عليه وسلم- شوقا وحنينا إلى وطنه الأم مكة بعدما تعرض من قبل كفارها إلى المطاردة فقال:"**والله إنك لأحب أرض الله إلي ولولا لأن أهلك أخرجوني منك لما خرجت**"، وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"**ما أطيبك من بلد وأحبك إلى ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك**" [3].

---

[1] أحمد زكي بودي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص93.

[2] إبراهيم ناصر: التربية المدنية المواطنة، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، 1993، ص15.

[3] الترمذي: الجزء الأول، ص386.

والانتماء الوطن يتطلب التضحية والنصرة والبذل والعطاء من أجله، والولاء والانتماء الوطني لا يرتبط بالالتصاق الجسدي للفرد بالوطن، بل يتعدى حدود الوطن فيحب وطنه ويسعى لرفعته ونصرته في الداخل والخارج .

"وذلك لأن الانتماء للوطني" يشع لدى الفرد المنتمي الإحساس بالتماسك والمشاركة الوجدانية خاصة وأن مجموعة العلاقات التي تربط الفرد بالوطن تختزل وتجرد إلى مجموعة العلاقات الإنسانية التي تشاركه العيش تحت مظلة هذا الوطن..." [1].

فالانتماء الوطني إذا هو إحساس الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من وطنه، فيحبه ويتعلق به ويكن له الولاء ويظهر ذلك من اعتناقه لقيمه وعاداته، وتقديره لمؤسساته وطاعته لقوانين، واستعداد الدائم للنهوض به والذود عنه.

1.2.2. الوطنية:

هي حب الوطن والشعور بارتباط باطني نحوه والوطنية هي مشاعر عاطفية ووجدانية تتكون عند الفرد تجاه الوطن، أو الأرض التي يحبها [2]. والوطنية بوصفها نزوعا شعوريا وفكريا يعني حب الوطن والاهتمام بهما، والتضحية في سبيل رفعتهما، وهذه العاطفة ليست حديثة، وإنما عاطفة قديمة وجدت بوجود الإنسان منذ أن أصبح له منزل يقيم به وأرض يزرعها ذلك لأن الإنسان يشعر بتعلق

[1] محمود السيد: علم النفس الاجتماعي، دراسات عربية وعالمية، الجزء الأول، دار النهضة العربية بيروت 1985.ص25.

[2] علي فخرو: نحن وطنيون ولسنا مواطنون، مجلة المعرفة عدد120) ربيع الأول، 1426، افريل2005، ص71.

عاطفي وارتباط قلبي بالمحل الذي ولد ونشأ وترعرع فيه، وذلك يدفعه إلى حبه وبذل الجهد في سبيل الدفاع عنه، ومن هنا كانت "الوطنية هي حب هذا الوطن والشعور نحوه بارتباط روحي وهي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة وتجعله يحبها، ويفتخر بها، ويعمل من أجلها ويضحي في سبيلها"[1].

وقد تطورت الوطنية بتطور المجتمعات وتعمقت في كل قطر بنمو المصالح الاقتصادية والسياسية لأبناء هذا القطر، كما نمت الوطنية وانتشرت عبر كل الأقطار والأوطان وبين كل الأجيال حيث ازداد تعلق الأفراد بأراضيهم وأوطانهم، وهذا ما يؤكده المفكر القومي **"ساطع الحصري"** تعلق الإنسان بالأرض التي ولد ونشأ فيها فيقول:"أن الإنسان يشعر بتعلق عاطفي وارتباط كلي بالمحل الذي ولد ونشأ وترعرع فيه كما يشعر بتعلق باطني نحو أهل ذلك المحل ونحو جميع الناس الذي عايشهم وعاشرهم وألفهم"[2].

بالرجوع إلى تعريفات الانتماء نستنبط أن مفهوم الوطنية والانتماء يمثلان وجهين لعملية واحدة، فالانتماء الذي يحسه ويشعر به الفرد اتجاه موطنه وأبنائه يتولد له ما يعرف بالصفة الوطنية، فمن خلال حب الوطن والأرض، والاعتزاز والافتخار بتاريخه وبطولاته والعمل من أجل تنميته وترقيته والعمل بقوانينه وعاداته وتقاليده واحترام رموز سيادته كالنشيط الوطني والراية الوطنية والافتخار بجنسيته وهويته الوطنية.

---

[1] محمد الصادق العفيفي: النقد التطبيقي والموازنات.

[2] ختام العناني و محمد عصام طربية، التربية الوطنية والتنشئة السياسية، دار حامد عمان، الأردن 2007، ص29.

ومن خلال تشربه لقيم الانتماء الوطني يتجسد فيه ما يعرف بالروح الوطنية، لذا يعتبر الانتماء الوطني سلوكا وفعلا وتجسيد، والوطنية لشقه الثاني وهو الشعور بالروح الوطنية، أي أن الوطنية تؤدي إلى الانتماء، والانتماء يولد الوطنية أي كليهما يعملان في تفعيل وعلاقة تأثير وتأثر.

والانتماء الوطني يكون في إطار عدد من الحقائق وهي:"أن المفهوم الأول للوطن هو الأرض التي ينشأ عليها الإنسان ويتوارثها الأبناء عن الآباء، ويعتبرون وجودهم فيها أساسيا لا يمكن تصوره بدون ارتباطه بالأرض [1]. أي أن الوطن يكون هنا الحيز المكاني للإنسان.

"كما أن المصدر الأساسي لتلبية الحاجات الإنسان الضرورية من طعام وشراب ومأوى فهو من الناحية البيولوجية ضرورة لا غنى عنها" [2]. إضافة إلى هذا فالوطن له تأثير فعال في صقل شخصية الإنسان وسماته وقيمته.

2. أبعاد الانتماء الوطني:

إن تعميق الحس الوطني وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، وغرس قيم التفاهم والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد، تعد ثمرة عمل دؤوب وكفاح مرير من أجل تعزيز مفهوم الانتماء للوطن، والذي يتضمن العديد من الأبعاد وأهمها:

---

[1] ينظر: عبد الرحمان أقصيعة: مستوى اكتساب بعض المفاهيم التاريخية الفلسطينية لدى طلبة الصف التاسع الأساسي بمحافظة غزة وعلاقته بانتمائهم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة 2000، ص49.

[2] المرجع نفسه، ص49.

1.2.الهوية: Identité

ومن ركائز الانتماء إلى توطيد الهوية، وهي في المقبل دليل على وجوده، ومن ثم تبين سلوكيات الأفراد كمؤشر للتعبير عن الهوية وبالتالي الانتماء.

2.2. الجماعية:Collectivisme

إن الروابط الانتمائية تؤكد الميل نحو الجماعية، ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التي ينتمون إليها، وتؤكد الجماعة على أن كل من التعاون والتكافل والتماسك والرغبة الوجدانية في المشاعر الدافئة للتوحيد، وتعزز الجماعية الميل إلى المحبة والتفاعل الاجتماعي وجميعها تسهم في تقوية الانتماء من خلال الاستماع بالتفاعل الحميم والتأكيد على التفاعل المتبادل [1].

3.2. الولاء: Loyalty

الولاء هو جوهر الاحترام، يدعم الهوية الذاتية، ويقوي الجماعية، ويركز على المسايرة ويدعو إلى تأييد الفرد لجماعته، ويشير إلى مدى الانتماء إليها، ومع أنه الأساس القوي الذي يدعم الهوية [2]. إلا أنه في الوقت ذاته يعتبر الجماعة مسؤولية عن الاهتمام بكل حاجات أعضائها من الالتزامات المتبادلة للولاء بهدف الحماية الكلية.

---

[1] حازم أحمد الشعراوي: أثر برنامج بالوسائط المتعددة على تعزيز قيم الانتماء الوطني والوعي البيئي لدى طلبة الصف التاسع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الجامعة الإسلامية، غزة 2008، ص65.

[2] المرجع نفسه، ص65.

4.2. الالتزام:Obligation

حيث التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية، وهنا تؤكد الجماعية على الانسجام والتناغم والإجماع، ولذا فإنها تولد ضغوطا فاعلة نحو الالتزام بمعايير الجماعة الإمكانية والقبول والإذعان كآلية لتحقيق الاجتماع وتجنب النزاع[1].

5.2. التواد:

ويقصد به الحاجة إلى الانضمام والعشرة "وهو- التواد- ومن أهم الدوافع الإنسانية الأساسية في تكوين العلاقات والروابط والصداقات"[2].

ويشير إلى مدى التعاطف الوجداني بين أفراد الجماعة والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار والتراحم "بهدف التوحد مع الجماعة، وينمى لدى الفرد تقديره لذاته وإدراكه لمكانته وكذلك مكانة جماعته بين الجماعات الأخرى، ويدفعه إلى العمل للحفاظ على الجماعة وحمايتها لاستمرار بقائها وتطورها، كما يشعره بفخر الانتساب إليها"[3].

---

[1] حازم أحمد الشعراوي: مرجع سابق، ص65.

[2] منصور طلعت وآخرون: أسس علم النفس العام، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر 1984، ص28.

[3] سليمان عبد الحميد شاكر وآخرون: علم النفس العام، ط2، سنة1989، القاهرة، مصر، ص94.

6.2. الديمقراطية:

"شعور الفرد بالحاجة إلى التفاهم والتعاون مع الغير، ورغبته بأن تتاح له الفرصة للنقد مع امتلاكه لمهارة تقبل نقد الآخرين بصدر رحب" [1]. وهي- الديمقراطية- تمنع الديكتاتورية في المجتمع، وترحب بالمعارض، مما يحقق سلامة ورفاهية المجتمع.

وقد اختلفت أبعاد الانتماء الوطني وتعددت لآراء فيها من قبل دارسيها وباحثيها ولكن بالرغم من هذا التعدد إلا أهنا تقريبا تتشابه في تحديدها.

- المكونات المعززة للانتماء الوطني:

يتكون الانتماء الوطني من أسس ومكونات أساسية تعمل على تعزيز الانتماء الوطني لدى الفرد وتدعيمه، فالفرد المنتمي هو الذي يلتزم بالحفاظ على ممتلكات الوطن وأفراده وهذا الالتزام يكون أولا مع النفس وذلك بالسير على النهج السليم مع الآخرين، من خلال إعطائهم حقوقهم وأداء واجباتهم بدقة، فالانتماء والالتزام لا يفترقان، ومن الأسس أو مكونات تعزيز الانتماء الوطني وتدعيمه ما يلي:

أولا- الأساس المعرفي: ويعني تزويد الفرد أو المواطن بالمعلومات المتعلقة بوطنه وشؤون وطنه، وهي معلومات تتمثل في الثقافة السياسية للفرد والمتعلقة لحقوقه وواجباته وكل ما يخص الدستور

[1] حازم أحمد الشعراوي: أثر برنامج بالوسائط المتعددة على تعزيز قيم الانتماء الوطني والوعي البيئي لدى طلبة الصف التاسع، ص65.

وجهاز الحكم وسلطاته...وغيره، بالإضافة المعلومات المرتبطة بطبيعة مجتمعه المنتمي إليه، ولمتطلباته، ورموزه، ومثله العليا، ومعتقداته وطموحاته، وأهدافه وعلاقاته بالمجتمعات الأخرى في ماضيه وحاضره.

ثانيا- الأساس الوجداني: ينبغي على المواطن المنتمي لوطنه أن يمتلك قيم واتجاهات نحو وطنه، وكل ما يتعلق به "وكذلك القيم الاجتماعية التي يؤمن بها المجتمع بها المجتمع مثل احترام وتقدير رموز الوطن وقادته والعاملين المخصصين من أبنائه، وحب الخير، والتسامح مع الآخرين، والتعاون، والثقة بالنفس والتحلي بالمسؤولية، والصدق في القول والعمل، وغيرها من القيم التي يجب أن تنعكس على سلوك المواطن وممارساته [1].

ثالثا- الأساس العلمي: إن تعلم المعرفة يجب أن ينتج عنه تعلم مهارات اجتماعية، وعقلية ونفسية، تؤهل الفرد أن يكون مواطنا منتميا، قادرا على المشاركة الفاعلة في نشاطات المجتمع الذي ينتمي إليه من خلال اكتسابه مهارات الاتصال والتواصل، والتفاعل مع الآخرين، والتعاون الذاتي والمشاركة في شؤون الحياة العامة، ومهارات التفكير الناقد... [2]. وهناك من يصف مكونات الانتماء الوطني في شكل عناصر.

---

[1] عبد أحمد يوسف حمايل: دور إذاعة"امن أف أم" في تعزيز الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين"جامعة الشرق الأوسط"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة الشرق الاوسط2011، ص58 .

[2] عادل محمد حسن تلفت: درجة تمثل طلبة المرحلة الإعدادية بمملكة البحرين لقيم المواطنة الصالحة المتضمنة في كتب المواد الاجتماعية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية عمان، الأردن 2006، ص44.

1- عناصر معرفية: وتعني الوعي بما هو جدير.

2- عناصر وجدانية: وتعني شعور الفرد حيالها سلبا وإيجابا.

3- عناصر سلوكية: وتعني اعتبارها معيارا للسلوك.

4- عناصر دافعية: وتعني أن القيم تشكل الدافع إلى الانجاز والعمل.

- العوامل المؤدية إلى ضعف الانتماء الوطني:

هناك عدة عوامل تعمل أضعاف الانتماء الوطني لدى الأفراد وترتبط بمجالات الحياة المختلفة ويمكن تقسيمها إلى:

1- عوامل ذاتية: وتتمثل في نوع التربية التي يتلقاها الفرد والوضع النفسي والعقلي والفسيولوجي له، إضافة إلى مشكلات التي قد يعانيها الشباب كالاغتراب، وعدم الوضوح في الهوية، وعدم وجود فلسفة للحياة لديهم.

2- عوامل داخلية: وتشمل الاضطهاد السياسي من قبل الحكومات في بعض الدول لمواطنيها وعوامل اقتصادية مثل انتشار الفقر والبطالة في المجتمع، ومشكلات اجتماعية مثل عدم تجانس المجتمع اجتماعيا وثقافيا، وهو ما يؤدي إلى نشوء صراعات بين فئات المجتمع المتباينة.

3- عوامل خارجية: وتتمثل في الصراع بين التيارات الفكرية العالمية، والغزو الثقافي الذي يعمل على طمس الهوية والثقافة المحلية [1].

[1] حسن مختار: مرجع سابق، ص60.

إذا كلها عوامل تساهم في إضعاف منسوب الانتماء الوطني لدى الفرد، ولغرس وتنمية قيمة الانتماء عند الأفراد، ينبغي التأكد على مبدأ العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات" فأسس الانتماء الوطني هو معرفة الحقوق والواجبات المنصوص عليها في الدستور أو القانون وعلى الأفراد أن يكونوا على وعي بحقوقهم، وواجباتهم كأساس للانتماء الوطني .[1] ولهذا تشكل لدى الأفراد معرفة عن موضوع انتمائهم وهو وطنهم.

3. حضور الانتماء الوطني في الشعر الجزائري الحديث:

لقد أولى الأدب العربي عامة والشعر الجزائري خاصة أهمية كبرى للانتماء الوطني كونه بمثابة..."ضمير داخلي يوجه الفرد ويرشده إلى ما فيه صلاح وطنه فكلما وجه الانتماء للوطن توجيها سليما، كلما كان ذلك عاملا من عوامل بناء المجتمع" [2].

أما الشعر الجزائري فلطالما أثار شغف دارسيه وباحثيه، فتعمقوا في جوانبه وأبعاده إذا أنه يحمل عنوانا لمناصرة الصمود والكفاح لزمن الثورة، وسجلا حافزا في فترة الستينات والسبعينات، نظرا للتغيرات التي طرأت على مستوى الواقع الجزائري فجسد- الشعر الجزائري- عمق الانتماء الوطني، وصور قضايا الوطن خاصة، والوطن العربي عامة، وهذا ما يعكس بجلاء نطاقه وتفاعله.

---

[1] الدروع والعرفان نحول التربية الوطنية هادفة ص32 ، نقلا عن دراسة لسميح الكراشة وآخرون، الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة البنيوية، 2008، ص4.

[2] عبد أحمد يوسف حمايل: مرجع سابق ، ص61.

والمتتبع لشعر الجزائري يجد في خضم مسايرته للحركة الأبدية قد تضمن بين طياته أهداف سامية سواء وطنيا محاكيا الجزائر في تطورها وتغيراتها، وكذا قوميا مساندا أمته العربية.

1.3. الوطن:

لقد كان الوطن ذلك التجسيد المعنوي لخبرة الفرد، يشير فيه كوامن الحب والحنين والامتزاج النفسي الذي يعيشه الإنسان لحظة بلحظة، فالوطن لدى الإنسان- لاسيما الأديب- "...يتخذ أبعادا متشبعة متداخلة، فهو انتماء وتاريخ وخليط معقد من المشاعر والعواطف يحتاج إلى سبرها إلى عمليات تحليل معقدة..." [1].

أما حضور الوطن في الشعر الجزائري- القديم منه والحديث وحتى المعاصر- كان حضورا مكثفا، فتوالى ذكره في شعر الثورة المباركة بصورة منقطعة النظير وهذا أمر بديهي ومن أمثلة ذلك قول الشاعر الثورة **"مفدي زكريا"**.

وقُلِ: الجزائرُ..!!! واصغِ إنْ ذُكِرَ اسمُها	**تجد الجبابرَ.. ساجدينَ ورُكَّعا !**
إن الجزائرَ في الوجود رسالةٌ	**الشعبُ حرّرها.. وربُّك وَقّعا !**
إن الجزائرَ قطعةٌ قدسيّةٌ	**في الكون.. لحّنها الرصاصُ ووقّعا !**[2]

[1] كريم مهدي المسعود: الوطن في شعر السياب الدلالة والمعنى،دار صفحات للدراسات والنشر سنة2011، ص15.

[2] ينظر: أحمد يوسف: يتم النص، الجينا لوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة ط1. 2002، ص101.

كما عبر الشعراء الجزائريين عن ضياع وطنهم منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر، فتعالت أصوات أقلامهم تندد بالظلم والاستبداد الموجه له، وكذا التحسر والتأسف على وضعه الذي آل إليه، فنجد شاعرنا **"محمد عطوي"** هو الآخر بنبرة متحسرة يبكي وطنه قائلا:

أه يا وطني الحبيب باعوه في سوق الظلام نخاسة

ووزعوك على الصحاب !

وأنا هنا...وسبعة

ساهرون منصهرون كالحصى في رمل آب!

نهشوك يا وطني بمأدبة اللئام من الذئاب! [1]

وقد تعددت أبعاد موضوع الوطن في شعر الجزائر وتباينت دلالتها، ويعتبر الشعر الجزائري في تعامله مع الوطن امتداد لحنين الشعر العربي القديم والحديث إلى المكان فوقف الشعراء على الأطلال، وبكوا الديار مثلما تمثل **"عبد الله"** الهامل هذا الموقف في ديوانه "كتاب الشفاعة"، عن طريق عملية التهجين التي اصطنعها شعر اليتيم اصطناعا نوستالجيا، ليبدي شعوره بالاغتراب وإحساسه بالتمزق، وذلك ليس من منطلق رومانسي أو من باعث وجودي، وإنما من الإحساس لفقدان المعنى وبالتيه في ظل الهوية الغائبة، فهذا **"الهامل"** يقول:

وقوفا بها على الناي

[1] ديوان اللهب المقدس، ص58.

وقوفا بها على الطين

وقوفا بها على الكأس

وهذي انتشاراتي في الطلول[1].

فالوطن المسلوب في عهد الاستعمار كان يدفع بالشعراء إلى التعلق به تعلقا مكانيا، قد يكون محددا من حيث الرقعة الجغرافية "**مكانة الأرض**"، وقد يتضمن قيما دينية "**حب الوطن من الإيمان**"، وثقافية "**البعد التاريخي والانتماء الحضاري**" .

2.3. شعر الثورة التحريرية 1454:

تميز الشعر في هذه الفترة بالروح الوطنية المشتعلة، التي أذكت العواطف وهزت المشاعر والأقلام التي كتبت من قبل، فالثورة فتحت أفاقا أمام الشعراء الجزائريين، فسجلوا أشعارهم الثورية التي ظلت خالدة في سجل التاريخ تتغنى بالوطنية والحرية، فجاء شعر الثورة صوتا صارخا بحب الوطن الذي لا ينفصل لا عن الإسلام كدين وعقيدة، ولا حتى عن العروبة التي هي انتماء ولغة، وكذا رفض الاستعمار وبغضه، والتنديد على استبداده وظلمه.

ومن شعراء هذه الفترة نذكر، "**أحمد الباتني**"، "**صالح الخرفي**"، "**ابو القاسم خمار**"، "**عبد السلام حبيب**"، "**محمد صالح باويه**"، وكذا "**عبد الحميد ابن باديس**" رائد الإصلاح في الجزائر

[1] ديوان يوميات الشرود والتحدي، ص35.

والذي رسخ معاني الانتماء للإسلام والعروبة. مجسدا إياها قولا وفعلا: **"لمن أعيش؟ أعيش للإسلام والجزائر"**. وهذا **"محمد العيد آل خليفة"** يقول:

إذا مارُمت للأوطان عزا فجُد بالنفس واستبق الفداء

ويقول **"عبد الكريم العقون"** مخاطبا فتية الجزائر:

يا فتية الوطن الكرام و جنده هبوا إلى العلياء لا تتأخروا

كما نجد الشاعر: **"أبو القاسم خمار"** يتحدث عن الشعب الجزائري مستعرضا كفاح المغرب العربي في قصيدته **"ظلال وأصداء"** يقول:

ثار في ثورة إذا قيس بركان بهزات نارها كان يسرا

ثورة تحمل الإبادة للبؤس وللعدل والسيادة بشرى[1]

ويتحدث الشاعر صالح خرفي في قصيدته سلاحنا وسلاحهم وعن فرنسا ونضال الجزائر:

ملأت الأرض والأجواء حديد فكان العزم أقوى من جديد

فلسنا في الوغى جددا فتثنى عزائمنا أساطيل الجنود

ولا عشاق دينار فتلوى أعنتنا بوارق من وعود

ولكن عيشة الأحرار نبغي ودون بلوغها نيل الخلود

[1] ينظر: أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، 2007، ص 47.

زحفنا كالآتي فكنت سدا سلي خير الأتي مع السدود[1].

3.3. الوطنية:

يرى الناقد "**محمود الربيعي**" بأن الوطنية لا ينبغي بالضرورة "أن تكون صراخا عاليا وقصا مدويا... لقد اختلط أمر الوطنية علينا في كثير من الأحيان حتى كاد يرتبط في عالم الداء الشعري بالقعقعة اللفظية العنيفة، ولقد آن الأوان لإعادة النظر في أمرنا وأمر جماهيرنا، إن التأثير في عاطفة الجمهور الواعي لا تكون أبدا في محاولة وضعه في حالة تشنج عن طريق الرغي والإزباد والوعيد والتهديد، وإنما تكون بمحاولة الوصول إلى نفس من أقرب الطريق وأقرب الطرق هي أبسطها وأكثرها هدوءا... .[2]

ولعل هذا ما يجسده شاعرنا "**محمد عطوي**" في قصيدته "**النحلة والصرصور**" مخاطبا الشباب محييا فيهم روح الوطنية بنبرة هادئة، ولغة فنية متميزة تتوشح موسيقى متوازنة ومؤثرة في نفس القارئ، فنجده ينبذ مظاهر الهوان والكسل والخمول ويدفع – الشاب المواطن- إلى استشعار مسؤولية أمام وطنه يقول:

يظل أبوك يكد ويشقى لتحيا سعيدا، فترى وتشبع

---

[1] أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص47.

[2] ينظر:محمود الربيعي: مقدمة لديوان أغنيات نضالية للدكتور "محمد الصالح باويه"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيعالجزائر1971، ص12.

وينسى لنفسه كل الحقوق فيعرى لتكسى، وخفك يلمع !

وملء فؤاده كل الأماني سيصبح ابني مقامه أرفع

وإما أديبا أريبا لبيبا ينير العقول كابن المقفع

وإما عقيدا لجيش الحمى وإما وزيرا فيبني ويقلع[1]

إن شعر الثورة التحريرية هو من رسم ملامح الجزائر الأرض في الشعر الحديث "فمجد الشعراء بلادهم وأفاضوا بالتعبير عن تمسكهم بكل شبر منها، مدينتها وصحرائها، جبالها، وسلاحها، فهي الجنة ومنجم الثورات الكثيرة" [2].

فيقول "**أحمد عروة**" على لسان عمال الجزائر:

نقدس هذا التراب الكريم فكم من دماء به دموع

سنخرج من أرضنا ثروة معادن تبرز للثابتين

ونجري الأنابيب مملوءة بماء معين وزيت ثمين[3].

[1] ديوان يوميات الشروط والتحدي، ص47.

[2] نور سليمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، ص239.

[3] المرجع نفسه، ص239.

وإطلاقا من هذا كله نجد الشعراء الجزائريين قد التفوا بمشاعرهم النبيلة باتجاه وطنهم الغالي، بل وعبروا عن تعلقهم به وإصرارهم على الانتماء إليه، وأجمعوا على افتدائه بأرواحهم يقول الشاعر **"محمد العيد آل خليفة"**:

بلادي فداك الروح والله عالم عليك سلام خالص القصد سالم

وهبتك روحي يا جزائر فأمري كما شئت إني خاضع لك خادم[1].

كما عبر الشعراء الجزائريين عن تشبثهم بالدين والعروبة، والتغني بالماضي والعربية، معلنين عدائهم للاحتلال الفرنسي ضد وطنهم، فكانت فكرة الجهاد والاستشهاد في سبيل جزائر عربية إسلامية، فكرة ضاربة في العمق الانتماء الوطني الذي يؤكد على ضرورة التمسك بالدين والعروبة.

ويقول الشاعر **"عبد الكريم بلعقون"** (وهو أحد شهداء الثورة) شاكيا أمره للرسول محمد صلى الله عليه وسلم:

يا رسول الإله أمتك العرباء أضحت تساق كالأغنام

يا رسول الإله كم ذا يلاقي بعدك المسلمون من آلام

لقد غدوا في يد العدو وسلاحا ليذود العدا به ويحامي[2].

[1] محمد العيد آل خليفة: الديوان، من قصيدة "بلادي"، ص135.

[2] البصائر، عدد 24 فيفري 1948، ص4، نقلا عن نور سلمان، مرجع سابق، ص247.

كما اعتبر معظم الشعراء الجزائريين تاريخ بلادهم امتداد للتاريخ العربي الإسلامي فتغنوا بأبطال عرب، كما تغنوا بأبطال الجزائر، مؤكدين على صلابة الارتباط الوثيق للجزائر بالوطن العربي" فالجزائر المغربية جزء من بلاد العرب ونضالها، امتداد لجهاد العرب عبر التاريخ، والتاريخ هو حافظ الجذور" [1]. فالشعر الجزائري سجل حضور البعد الوطني فيه- سواء القديم أو الحديث و حتى المعاصر- فعبر الشعراء الجزائريين عن ارتباطهم بالأرض وعن انتمائهم لها، كما جسدوا صورا خالدة تحكي صمود الشعب الجزائري وصلابة الإدارة التي استقاها من عقيدته الإسلامية والمتصلة فيه.

[1] نور سلمان، مرجع سابق، ص252.

المبحث الثاني: مظاهر البعد الوطني ودلالته في "ديوان يوميات الشرود والتحدي" لـ: "محمد عطوي":

جاء شعر"**محمد عطوي**" يجسد تلك العاطفة النابعة من عشقه لوطنه وحبه له والتي تنم عن تشبث الشاعر بانتمائه لوطنه واعتزازه به.

والمتطلع لديوانه هذا يلتمس بعدا وطنيا تجلى فيه مظاهر وصور تعكس أبعاد الانتماء الوطني، ومن هذه المظاهر نجد:

1. الالتزام بقضايا الوطن:

التزم الشاعر "**محمد عطوي**" بقضايا وطنه، ومعاناة شعبه، الذي حاصره الوضع الاجتماعي المزري وتفشي الآفات الاجتماعية كالبطالة والفقر...فنجد "**عطوي**" يصور ذلك الواقع الاجتماعي للمواطن والذي يعيش في وطنه شريد يتخبط في أوحال الفقر والبطالة والضياع، شريد، تائه وكأنه غريب في وطنه يقاسي فيه هموما وآلاما، يقول في قصيدته "**يوميات الشرود والتحدي**" والتي جعلها عنوان لديوانه:

أراه أمام المقهى صباح مساء

يطيل البقاء ....يحيل البصر

صباحا بمقهى البريد...

مساء بمقهى المسافر...

أراه هناك مسافر

يفتش عن حاجة تنتظر !

طويل العظام...نحيل القوام

محياه ليمونة، كادت الريح تحملها

لا تذر !

وعيناه داخلتان، كمثل الحجارة وسط

الحفر !

خواتم شعر على رأسه

كما سدرة يبست/ غاب عنها المطر !

وسرواله "أزرق النوع مستورد"

من الغرب

ضاف فأبدى الذي يستتر

يدخن سيجارة صفرة ثغره

وأثقبت الضرس فيه، فبات نخرا !

فينفث دخانها في الهواء،

يتابعه بالنظر

ويشرب بنا

فيوقظ أعصابه...يطيل السهر !...

يحدق في أوجه العابرينا

يسارا...يمينا...وفي قلبه النار

شاعلة تستعر

وبعدما يصور الشاعر الحالة الجسدية لذلك الوطن يعرج إلى تصوير حالته النفسية وقد انصهر في دوامة الضياع، يكابد الآلام يقاسي الهموم، أسيرا للضجر يبكي على وطنه المسلوب الذي بات رهينا في قبضة الطغاة يقول:

أراني بهي الحياة شريدا أقاسي الهموم وحديا

يحطمني الموج فوق الحجر !

فأين النجاء أيا قدري

وأين الرجاء الذي أنتظر !

إذا بسطت سواي الجبال

تحول دربي إلى جبل أو حفر! !

فلست أرى غير بوم يغني

يحوم هنا وهناك ولا يستقر! !

سمائي جفت...حياتي غفت

وقد ذبلت ورقات الشجر

ولم تبق غير العظام بناء

إلى الترب تدنو لكي تستتر! !

تفرق قومي

وغاب الصحاب

وعم الضجر

بلادي السلبية بين الطغاة

تعانق حلم الظفر

وقومي نيام...عليهم سلام

كمن أودعوا في الحفر!

لكن سرعان ما تتحول نبرة الشاعر وتتغير موسيقى قصيدته من اللغة تشاؤمية انهزامية إلى لغة تحمل في ثناياها نبرة تحد وصمود، لتعطي نفسا جديدا في القصيدة وثبت حسا حماسيا في نفس القارئ.

فنجد الشاعر **"محمد عطوي"**، يجمع حطام الواقع المرير ذاك ويلهب فيه جوا من الحماس مؤكدا من خلاله عمق الانتماء الوطني، وذلك باستخدامه ألفاظا قوية تاركة أثارها على نفس المتلقي يقول:

أنا ها هنا قادم...لا مفر !

سأحمل رشاشتي...سأحمل فأسي...

سأدفن آلامي...سأدفن بؤسي

أنا لست أرضي القبوعا،

وأمضي طليقا أمد الجناحا

أشق الفيافي...أغني مساء،

،اشد صباحا،

لغير الإله أعاف الركوعا !

إلى أن يقول:

-أبي أنا

أبي أيا وطني

أبيا خلقت...وابقى أبيا...وحصتا منيعا[1].

[1] ديوان "يوميات الشرود والتحدي"، ص10.

2. الدعوة إلى صوان كرامة الوطن:

يعاهد الشاعر"**عطوي**" وطنه بأنه لن يمس بسوء ما دام مؤقتا في نفسه بأن هناك أيدي خفية تعمل في الظلام على طمس هويته، فيتوعد أعدائه بأنه سيقهر سيف الظلم والقهر الموجه إلى وطنه، ولن يقبل عليه أن يهان ساعيا إلى صون كرامته والتمسك بمقوماته يقول:

أنا لست شيئا أيا وطني

إذا كنت جسرا يمر العدو عليه

يمد يديه: إلى نخلة أبلحت

إلى نخلة أعسلت

إلى فحلة أنجبت من يعاف الخشوعا

أنا ها هنا...ابن شداد

بسيفي أكر...أرد الجموعا

وحيدا سأمضي...

إلى الكون أفضي: "أنا لن أذل..سأبقى رفيعا"

وقبل الذهاب...سأصرخ في الجامدين

ألا انهضوا يا نساء الخدور !!

ألا نهضوا

فقد زرعت في الحياة الشرورا

وأوقظهم صافعا...

وبالركلات سريعا...

أنا قادم

أي وطني...أقدم...لا رجوعا !![1].

3. التغني بالثورة الجزائرية:

وتتواصل نبضات الحس الوطني متدفقة في قصائد **"محمد عطوي"**، فيسبح بقارئه إلى فضاء التاريخ وبطولات الشعب الجزائري إبان ثورته المجيدة (ثورة نوفمبر)، فنجده يقتبس من القرآن الكريم قصة مريم العذراء حين جاءها الخاص، فيعطي صورة رائعة عن هذه الثورة التي تمخضت من رحم الألم والفقر وقد تم الإشارة إلى جمالية هذا الاقتباس في الفصل الأول يقول ممجدا الثورة الجزائرية مستنهضا الهمم بذكر إرادة الشعب الجزائري الصاعد:

جزائري...جغرافية التاريخ

تبرعمت من رحم العذراء

إذا جاءها المخاض

تحت نخلة خضراء

[1] ديوان "يوميات الشرود والتحدي"، ص12.

ارتوت بدم الشهيد

فتساقطت رطبا جنيا...

إنها مولد الحقيقة الكبرى

من بعد سبع سنوات تترى

بإرادة الشعب القوية

إنها البعث للونه الأخضر

إنها نسغ الوجود

في الزمن الآتي ولو كره الكافرون !

جزائري...مولد الأقمار

في صفحة الليل

ويقضة الإنسان في صرخة الميلاد[1].

4. حب الوطن:

عبر الشاعر "**محمد عطوي**" عن حبه لوطنه وعمق انتمائه له من خلال قصيدته "**المنسوخ من صفات الوطن**" التي جسد فيها غيرته الممزوجة بالحسرة والتأسف لما يحدث بوطنه فنجده يقول في المقطع الأول من القصيدة(الصفحة المنسوخة):

[1] ديوان "يوميات الشرود والتحدي"، ص20.

اقرأ معي بالصفحة المنسوخة

"طبقتان: واحدة تحلق في السحاب

وأخرى ها هنا تمرغ في التراب

أه يا وطني الحبيب، باعوك في سوق الظلام نخاسة

ووزعوك على الصحاب !

وأنا هنا...وسبعة

ساهرون...منصهرون كالحصى في رمل آب !

وأنا هنا...وسبعة من الأطفال

منكمشون...بين قصدير يغطينا...

وحيطان من الأخشاب !

قد وزعوك يا وطني،

أولوا الأمر ما كانوا ذوي الألباب

لم يكونوا أهل طهر واقتدار،

لم يكونوا أولي ايدو وإبصار،

ما كان منهم من أعاد فتح أندلسي

وما كان منهم من أعلى راية خضراء فوق الهضاب !

كل الفتوحات التي برعموها:

ملاعب يسكنها الربيع البديع

ومطاعم مزدانه بالخوابي

وملاه مفتوحة على البحر

مذهبة النوافذ والأبواب !

وجميع الرايات التي رفعوها

حمر، تجد وصمة الأحقاب!

ما عدا في زمانهم يا وطني

رواء الوحي مصباح قاطرة

يفرش للغاية العليا ضوء الصواب !

آه! جزائري الخضراء !

آه! عليك في الزمن الغابي!

5. التمسك بالوطنية والدفاع عنه والتضحية من أجله:

نجد أن الشاعر **"محمد عطوي"** متأثرا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فيستخدم لفظتي(الناسخ والمنسوخ)، فالمقطع الأول والذي عنونه بـــ **"الصفحة المنسوخة"** يذكر بنبرة الهزامية وضع وطنه، لينتقل بعدها إلى المقطع الثاني بعنوان **"الصفحة الناسخة"** فيبث فيه إشراقة الأمل

والتفاؤل، معربا عن تمسكه بوطنه ومعلنا في الوقت ذاته على الدفاع عنه والتضحية في سبيله، متمسكا بعقيدته، يقول في الصفحة الناسخة:

لا...لا ! أيا وطني الساكن في الأعماق

لا...أيها المشرق في الأحداق،

سأمضي...بعد تمزيق النقاط

أغنيك...بطائرتي...ودبابتي،

وجوداي الوثاب !

سأمضي...في جناحي صواريخ العراق

وفي يدي سيف علي،

وبقلبي نور عقيدتي، وبلا روح كتابي

أحلق طيرا أبابيل

أنسخ زيفة الألقاب

أبرهة الحبشي

ومن ولاه من خيرة الأصحاب !

سأمضي...حتى تستعيد الشمس مشرقها

وتأخذ ريحي عنكبوت الضباب !

سأبني ها هنا ...وسأعلي فيك يا وطني

ما يطول ناطحات السحاب

صفحة التاريخ،

أسطولا يتهادى في برحك المنساب[1].

ما يمكن استخلاصه من هذا المبحث هو أن الشاعر **"محمد عطوي"** عبر عن انتمائه إلى وطنه وتمسكه به وهذا ما يعكس تجلي البعد الوطني في قصائده، فنجده يتغنى به وبتاريخه مؤكدا على صون كرامته والدفاع عنه.

[1] ديوان "يوميات الشرود والتحدي"، ص38.

خاتمة:

لقد حاول هذا البحث أن يستنطق أبعاد الانتماء ودلالته في "ديوان يوميات الشرود والتحدي لمحمد عطوي"، وقد أسفرت هذه الدراسة التي اعتمدت فيها المنهج الوصفي التحليلي الجامع لمحاسن المناهج الأخرى عن جملة من النتائج أهمها:

- غنى الديوان بالتعابير التي تجسد البعد الديني إذا احتوى على حشد معتبر من المفردات والعبارات ذات البعد الديني. إضافة إلى مصطلحات اقتصر استخدامها على القران الكريم

- إشراب الشاعر ديوانه ونصوصه الشعرية معاني دينية واستحضاره لشخصيات تاريخية في قصائده إلى جانب استلهامه أحداث من القران الكريم وهدا ما يؤكده تشبع الشاعر بالقضية الإسلامية وكدا مرجعيته الدينية التي انطلق منها.

- ثراء الديوان بالحس القومي من خلال تفاعل الشاعر مع قضايا الوطن العربي

- غلبة الأسلوب التهكمي أحيانا في تصوير الواقع المزري للأمة العربية قصد استنهاض الهمم وتأجيج المشاعر الوطنية

- طغيان اللغة التشاؤمية في نهايات القصائد إلا أنها كلها نهايات انتصار لا انهزام. فالتحدي هو منهج صاحب الديوان.

- تجلي الحس الوطني في الديوان وحضور الروح الوطنية التي تعكس عمق الانتماء الوطني من خلال استلهام تاريخ الثورة التحريرية المجيدة وهدا ما جسدته قصيدته "جغرافية التاريخ" .

- تصوير الشاعر لواقع وطنه بأسلوب انهزامي يكشف من خلاله الواقع الاجتماعي والسياسي للوطن وهدا ما تجلى في قصيدتين - يوميات الشرود والتحدي - المنسوخ من صفحات الوطن-.

وعليه فقد حاولت استنباط أبعاد الانتماء في الديوان الذي يحمل بين طياته حسا قوميا ووطنيا منبثق في عقيدته الدينية ومرجعية الشاعر الإسلامية فكان شعره مرآة عاكسة تعكس الرابطة القوية بين الشاعر وانتمائه.

كانت هذه أهم النتائج المتوصل إليها وآمل من الله أكون قد وفقت.

قائمة المصادر والمراجع

- **قرآن كريم.**

- **المراجع والمصادر باللغة العربية:**

1. إبراهيم ناصر، التربية المدنية(المواطنة)، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، 1993.

2. ابن منظور: لسان العرب، الجزء السابع، ط. مراجع ومصححة لمعرفة نخبة السادة الأساتذة المتخصصين، دار الحديث، القاهرة، 2003.

3. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، 2007.

4. أحمد زكي بودي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

5. أحمد سحنون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

6. أحمد محمد مبارك، رؤية إسلامية في الأدب والثقافة، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

7. أحمد محمود مبارك، رؤية إسلامية في الأدب والثقافة، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

8. أحمد يوسف. يتم النص، الجينا لوجيا الضائعة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة ط1. 2002.

9. ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة (1748 – 1939)، دار الهناء للنشر، بيروت، لبنان.

10. أنور الجندي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1995.

11. بطرس البستاني، قطر، المحيط، بيروت، لبنان، 1869.

12. جورج انطونيوس: يقظة العرب، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1996.

13. حسن مختار: قضايا واتجاهات معاصرة في المنهاج وطرق التدريس.

14. حسين محمد علي، كتب وقضايا في الأدب الإسلامي، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية.

15. ختام العناني – محمد عصام طريبة: التربية الوطنية و التنشئة السياسية، دار حامد، عمان، الأردن، 2007.

16. سليم ناصر بركات: الفكر القومي وأسسه الفلسفية عند زكي الأرسوزي، دار دمشق، بيروت، 1984.

17. سليمان عبد الحميد شاكر وآخرون، علم النفس العام، ط2، سنة1989، القاهرة، مصر.

18. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق.

19. السيد قطب، في التاريخ فكرة ومناهج، دار الشروق، ط6، القاهرة، 1986.

20. شلتاغ عبود، الملامح العامة للنظرية، الأدب الإسلامي، ط1، دار المعرفة، دمشق.

21. عباس محمود العقاد، إسلاميات، ط1، دار المعارف، مصر، 1985.

22. عبد الرضا الطعان. الفكر السياسي في العراق القديم. دار الشؤون الثقافية بغداد ط2/1976.

23. عبد العزيز الدوري: الجذور التاريخية للقومية العربية، دار العلم للملايين، بيروت، 1980.

24. عبد الغني البشري، أثر السياسية القومية في الحركة القومية العربية، دار المعارف، مصر، 1966.

25. عبد الله الركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، دار الكتاب العربي، للطباعة والنشر، 2009.

26. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة، مصر2011.

27. عماد الدين خليل، مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

28. عمر بن قينة- دراسة: الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة 1999.

29. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

30. عميراوي احميدة: ملخصات وآراء في التاريخ الحديث والمعاصر، دار الهدى، جامعة الأمير عبد القادر، عين ميلة، الجزائر.

31. كريم مهدي المسعود: الوطن في شعر السباب- الدلالة والمعنى- دار صفحات للدراسات والنشر سنة2011.

32. ماجد بن محمد الماجد، الأدب الإسلامي، النشأة والخصائص، بحث ترقية، جامعة الملك سعود، الرياض، د. ط،

33. محمد الصادق العفيفي، النقد التطبيقي والموازنات.

34. محمد العيد آل خليفة.

35. محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها بدايتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003.

36. محمد عادل الهاشمي، الإنسان في الأدب الإسلامي، د. ط، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، العزيزية.

37. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، 1983.

38. محمود الربيعي: مقدمة لديوان أغنيات نضالية للدكتور "محمد الصالح باويه"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- 1971.

39. محمود السيد، علم النفس الاجتماعي، دراسات عربية وعالمية، الجزء الأول، دار النهضة العربية بيروت 1985.

40. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج2، مراجعة درويش الجويدي، د. ط، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، 2002.

41. مفدي زكرياء ، اللهب المقدس.

42. منصور طلعت وآخرون، أسس علم النفس العام، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر 1984.

43. نجيب الكيلاني، ليالي تركسان، ط2، بيروت، 1974.

44. نور سليمان: الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين.

45. يوسف القرضاوي: الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، دار البعث، قسنطينة، 1984.

46. يونس أحمد البطريق: الدعوة إلى القومية في المجتمع العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1968.

v رسائل جامعية:

1.حازم أحمد الشعراوي، أثر برنامج بالوسائط المتعددة على تعزيز قيم الانتماء الوطني والوعي البيئي لدى طلبة الصف التاسع، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية الجامعة الإسلامية، غزة 2008 .

2.عادل محمد حسن تلفت، درجة تمثل طلبة المرحلة الإعدادية بمملكة البحرين لقيم المواطنة الصالحة المتضمنة في كتب المواد الاجتماعية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية عمان، الأردن 2006.

3.عبد أحمد يوسف حمايل، دور إذاعة"امن أف أم" في تعزيز الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين"جامعة الشرق الأوسط"، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة الشرق الاوسط2011.

4.عبد الرحمان أقصيعة، مستوى اكتساب بعض المفاهيم التاريخية الفلسطينية لدى طلبة الصف التاسع الأساسي بمحافظة غزة وعلاقته بانتمائهم، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة 2000.

v مجلات:

1. توفيق برو: نظرات في نشوء فكرية القومية العربية، مجلة سيرتا، العدد 4، قسنطينة، الجزائر، 1980.

2. الدروع والعرفان نحول التربية الوطنية هادفة ص32- نقلا عن دراسة لسميح الكراشة وآخرون، الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة البنيوية، 2008 .

3. سميح الكراسنة وغيره. الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة النبوية- 2008م.

4. عبد الحليم عويس، الأدب الإسلامي، القضية... والحل، مجلة فيصل، العدد 63، يوليو 1982.

5. علي فخرو، نحن وطنيون ولسنا مواطنون، مجلة المعرفة عدد(120) ربيع الأول، 1426، افريل2005.

6. علي يوسف اليعقوبي، مصطلح الأدبي الإسلامي في النقد الحديث، مجلة الجامعة الإسلامية سلسلة الدراسات الإنسانية، المجلد 19، عدد 12 .

7. مجلة البصائر، عدد 24 فيفري 1948.

8. محمد لبيشير، الأدب الإسلامي والمنحنى النفسي، مجلة التراث، العدد 1، 2004، جامعة مستغانم.

9. مرزوق بن حيتان بن تبناك، إشكالية الأدب الإسلامي، مجلة الدارة، عدد 3، سنة 18، جمادى الأولى، جمادى الآخرة،

10.وليد قصاب، الأدب الإسلامي مفهومه وأبعادهن مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جامعة الماجد للثقافة والتراث، السنة7، العدد 27 -28/ 2000.

v مواقع الانترنت:

1. عمر عبيد حسنة، مدخل إلى الأدب الإسلامي، مكتبة المشكاة الإلكترونية .

47. http:/www.ikriwanwiki.com - 2

الفهرس

مقدمة أ-ب-ج

المؤلف في أسطر

الفصل الأول: البعد الديني ودلالته

المبحث الأول: الأدب الإسلامي مفهومه وأبعاده وقضايا 05

1. مفهوم الأدب الإسلامي 05

2. أبعاد الأدب الإسلامي 15

1.2. البعد الأخلاقي 15

2.2. البعد القيمي 19

2.3. البعد الديني (التأثير البلاغي) 21

3. قضايا الأدب الإسلامي في الأدب المعاصر 24

1.3. القضية الفلسطينية 24

2.3. قضية البوسنة والهرسك 27

3.3. قضية الانتماء للأمة العربية 28

المبحث الثاني: مظاهر البعد الديني في ديوان "يوميات الشرود والسهد" للشاعر: محمد عطوي" 32

1. التناص من القرآن الكريم لفظا ومعنا 32

2.2. استدعاء شخصيات تراثية ذات بعد ديني 43

3.3. استدعاء أحداث تاريخية وحضارية ذات بعد ديني 46

الفصل الثاني: البنية العاملية في النص

المبحث الأول: تعريف القومية ونشأتها ودور اللغة والأدب في بنائها 50

1. مفهوم القومية لغة واصطلاحا 50

2. نشأة القومية العربية وظهورها 56

1.2. نشأة القومية العربية 56

2.2. عوائق القومية العربية 60

3.2. عوامل بناء القومية 63

3. حضور القومية العربية في الشعر الجزائري 66

1.3. القضايا العربية في الشعر الجزائري 69

المبحث الثاني مظاهر البعد القومي ودلالته في ديوان "يوميات الشرود والسهد" لـ "محمد عطوي" 76

1. التغني بالعروبة والاعتزاز بها 76

2. الالتزام بالقضايا العربية 79

3. تصوير واقع الأمة العربية 84

4. الدعوة إلى الوحدة العربية 91

الفصل الثالث: الانتماء الوطني 98

المبحث الأول: الانتماء الوطني مفهومه أبعاده وحضوره في الشعر الجزائري. 98

1. الانتماء الوطني مفهومه 99

2. أبعاد الانتماء الوطني 104

3. حضور الانتماء الوطني في الشعر الجزائري الحديث 110

1.3. الوطن 111

2.3. شعر الثورة التحريرية 1454 113

3.3 الوطنية 115

المبحث الثاني: مظاهر البعد الوطني ودلالته في "ديوان يوميات التمرد والسعدي له: "محمد عطوي 119

1. الالتزام بقضايا الوطن 119

2. الدعوة إلى صوان كرامة الوطن 124

3. التغني بالثورة الجزائرية 125

4. حب الوطن 126

5. التمسك بالوطنية والدفاع عنه والتضحية من أجله 128

خاتمة 132

المصادر والمراجع

الفهرس

تم بحمد الله